الحوار في القرآن الكريم

د. عبدالرحمن عباد*

* كلية العلوم والتربية / وكالة الغوث.

ملخص البحث

يشكّل الحوار في القرآن الكريم مرتكزاً أساسيّا من مرتكزاته الأسلوبية المتعددة ، إذ لا تكاد تخلو منه سورة من السّور الطّوال ، وهو متعدد في الأزمنة والأمكنة والأشخاص ؛ يبدأه الله -سبحانه- في السماء ، قبل نزول آدم إلى الأرض ، مع ملائكته الأطهار ، الذين لا يعصون الله ما أمرهم ، حين يطلب إليهم السجود لآدم ، وحين يخبره أنّه جاعل في الأرض خليفة ، وفي السّماء يحاور الله آدم - عليه السّلام- عندما يأمره أن يدخل الجنّة ويعطيه كلّ ثمارها ما عدا شجرة واحدة ، ويحذّره وزوجه أن يأكلا منها ، ولكن الشيطان يغريهما بالأكل منها ، وعندما يفعلان و ينكشف أمرهما لله ، و يسألهما لماذا عصيا أمره ؟يعتذران عن فعلتهما و يطلبان المغفرة ، وأمّا إبليس عدوّ الله والبشريّة كلّها فإنّ الله يحاوره هو الآخر فيسأله عن سبب رفضه للأمر بالسجود لآدم ، فيأتي جواب إبليس المستكبر بأنّه خير من آدم ؛ لأنّه مخلوق من نار وآدم مخلوق من تراب .

وينتقل الحوار من السّماء إلى الأرض ، حيث يحاور الله أنبياءه ـ عليهم السّلام- كي يعلمهم من خلاله الصّبر والتحمّل والأدب ، ليقوموا بدورهم في تعليم هذه الأمور للنّاس كافّة ، من آمن منهم ومن كفر ، ومن الأمثلة على هذا الحوار حوار إبراهيم -عليه السّلام- الذي سأل ربّه كيف يحيي الموتى ، وسؤال موسى -عليه السّلام- ربّه أن يراه ، وسؤال الله عيسى عن تأليه النّاس له ولأمّه .

ويستمر الحوار في صورة أُخرى بين الملائكة الأطهار والرسل والأنبياء ، ينقلون لهم أوامر الله ، ويبلغونهم رسالته كي ينقلوها بدورهم إلى النّاس ، لعلّهم يهتدون ؛ لأنّ الله العادل سبحانه ما كان ليعذّب قوما حتى يبعث فيهم رسولاً .

وهكذا ينتقل الحوار من الله وملائكته ، إلى الأنبياء ، ليحاوروا النّاس ويبلّغوهم رسالة الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ليكونوا شهوداً عليهم يوم القيامة ، ومن الحوارات المهمة في هذا الصدد ، حوار إبراهيم لأبيه وقومه والملك النمرود ، وحوار موسى لفرعون ، وحوار عيسى للحواريين ، إلى ما هناك من مواقف متعددة بين الأنبياء والنّاس .

ويختتم هذا البحث بالحوار القصصي في القرآن مستنداً إلى سورة واحدة من سور القرآن ألا وهي سورة يوسف -عليه السّلام- حيث وردت كاملة في سورة واحدة ؛ لبيان أهميّة الحوار في الوصول إلى أفضل النتائج ؛ عندما يستند إلى الحكمة والمنطق وحسن القول ، وهي شروط لصحّة التحاور ينبغي أن تتوفّر في من يريد الوصول بالعقل والإقناع إلى تحقيق هدفه المنشود ، وهي الغاية التي سعى القرآن الكريم في كلّ حواراته من أجل الوصول إليها .

Abstract

The Koran uses different techniques in its verses basically the dialogue technique. This technique is mainly found in most of the long verses. The dialogue manifests different versions of time, places, and persons.

God begins the dialogue in heaven before the descending of Adam to Earth. It takes place with his purified angels who never disobey his orders; when God asks them to bow to Adam and he informs them that he is finding a successor on Earth.

In Heaven a dialogue takes place between God and Adam when God orders him to enter heaven and allowing him to eat from all the fruits of the tree except one. God even warns Adam and his wife not to eat from that tree. But the devil seduces them and they eat the fruit of the forbidden tree. When God finds out he questions them for not obeying. Adam and Eve apologized for what they have done and asked to be forgiven.

God also argues with his enemy and the enemy of humanity 'the devil' about his rejection to bow to Adam. The arrogant devil replies that he is a fire element and Adam is made of earth.

The dialogue takes place on earth between God and his prophets. God teaches them patience, tolerance, and ethics; the prophets in return convey this to the people who will be believers or not-believers.

Many examples of such dialogues are found between Ibrahim and God when Ibrahim questions God about the reviving of the dead. It's found when Jesus questions God about his divinity and his mother's.

The dialogue is shown in other versions between the purified angels and the messengers, and prophets who receive the orders from God and transmit them through wisdom and good preaching so that they can be witnesses on Resurrection Day.

One of the most important dialogues takes place between Ibrahim, his father, his people, and the shrewd King, (Nemrud)

The dialogue between Mouses and the Ferrouh; the dialogue between Jesus and his followers, and many other examples.

Finally, the research ends with a story dialogue the story of Joseph found in the 'Verse of Joseph' the whole story was narrated in that verse. This proves the importance of the dialogue in achieving the best results when it uses wisdom, logic and good saying.

Thus, the Holy Koran relies on dialogues based on mental, logic, and persuasiveness in achieving its ultimate goal to convert people to faith.

الحوار في القران الكريم

الحوار لغة واصطلاحاً:

أصل المادة في اللّغة من الفعل (حَوَرَ)، والحوار هو الرّجوع عن الشّيء وإلى الشّيء، وأحار عليه جوابه: ردّه، والمحاورة: المجاوبة، والتّحاور: التجاوب، وتقول: كلمّته فما أحار إليّ جواباً. واستحاره: استنطقه، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة. والحواريّون: أنصار الأنبياء. والأحور: هو العقل، وما يعيش فلان باحور، أي العقل. (١) وحار الماء في الغدير، أي تردّد فيه، والحواريون هم أنصار سيدنا عيسى المسيح -عليه السّلام- قيل: كانوا يطهرون أنفسهم ونفوس النّاس بإفادتهم الدّين والعلم. (٢) ويرى (الفخر الرّازي) أنّ المحاورة هي مراجعة الكلام مستدلّاً على ذلك من قوله تعالى: ﴿إنّه ظنّ أن لن يحورا﴾ الانشقاق، ١٤. والمحاورة من الرّجوع، ومنه: " فما أحار بكلمة" أي فما أجاب. (٣) والحوار صناعة بها يحصل للإنسان القوّة على أن يعمل من مقدمات مشهورة قياساً في إبطال وضعِ موضوعه كليّ، يتسلّم بالسؤل عن مجيب يتضمّن حفظه؛ أي جزء من جزئيّ النّقيض اتفق، وعلى حفظ كل وضع موضوعه كليّ يعرضه لسائل يتضمن إبطاله أي جزأين من جزئيّ النّقيض اتفق ذلك. (٤) والحوار محتاج إلى دليل، والدّليل هو النّاصب والذّاكر وما به من الإرشاد، وذلك أنّ الدّليل في اللّغة هو المرشد، وفي الاصطلاح، ما يمكن التّوصل بصحيح النّظر فيه إلى مطلوب خبري، فتندرج الإفادة. (٥)

بين الجدل والحوار:

الجدل: هو مقابلة الحجّة بالحجّة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة، والجدل: اللّدد في الخصومة والقدرة عليها، ورجل جدل: شديد الجدل. ويقال: جادلت الرّجل فجدلته أي غلبته، وفي الحديث: ما أُوتي الجدلَ قَوم إلا ضلّوا، والمراد به الجدل على الباطل، ومعنى قوله تعالى: " ولا جدال في الحجّ" أي لا ينبغي للرّجل أن يجادل أخاه فيخرجه إلى ما لا ينبغي. (٦)

وقد استخدم القرآن الكريم كلمتي الجدل والحوار، كما استخدمها العرب، فالجدل فيه الحسن والسيىء، ولهذا يعلّم الله ورسوله كيفية الجدل فيقول: " وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " (٧) فالآية تشير إلى الجدل بالتي هي أحسن، وهذا يدلّ على وجودَ جدلَ من نوع آخر.

وقد جمع القرآن كلمتي الجدل والحوار في آية واحدة هي: " قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ "(٨)، فالمرأة تراجع الرّسول- صلى الله عليه وسلّم -في أمر زوجها المَظاهر منها، وكان قال لها: " أنت عليَّ كظهر أمي " وعندما سألت النّبي -صلى الله عليه وسلّم -عن ذلك أجابها بأنّها حرّمت عليه، شكت إلى الله وحدتها وفاقتها، وصبية صغاراً إن ضمنتهم إليه ضاعوا أو إليها جاعوا (٩)، فقد ميّزت الآية الكريمة بين قول المرأة (تجادلك) وقوله سبحانه(يسمع تحاوركما) فالشّكوى على الزّوج جدل، والكلام بينها وبين الرّسول -صلى الله عليه وسلّم -حوار، وهذا من لطيف الإشارات القرآنية التي يرشد الله- سبحانه- المؤمنين بها إلى آداب الحوار، سواء مع الرّسول -صلى الله عليه وسلم -أم مع بعضهم بعضا.

وقد عرف العرب أنواعا أخرى من الحوار، مثل المناظرة، وفي هذا يقول) الجرجاني): إن المناظرة من النّظير أو من النّظر بالبصيرة. واصطلاحاً: هي النّظر بالبصيرة من الجانبين في النّسبة بين الشّيئين إظهارا للصّواب. (١٠)فهو يضع للمناظرة معياراً، وهو الوصول إلى الصّواب، وهي الغاية التي يسعى إليها الحوار.

القرآن والحوار:

القرآن كتاب هداية في الأصل، يعتمد أساليب متعددة في التّعبير، منها الخبر والإنشاء، والسّرد والحوار والوصف، ولكن الحوار ظاهرة لافتة للنّظر في لغة القرآن، وهو حوار قائم على احترام العقل البشريّ وتقديره؛ إذ يعتمد الحجّة والبرهان، وهما صفتان من صفات النّجاح في كل حوار منتج. فالدّليل العقليّ في الإسلام مقدّم في الشّرع على الخبر النقليّ؛ إن جافى العقل والمنطق، وبهذا يفتح القرآن في حواراته باباً من أبواب الحريّة العقليّة واسعا، بحيث يكون هناك متّسع للاجتهاد، وهي حريّة علميّة توصل إلى اليقين (١١).

موضوعات الحوار في القرآن الكريم:

تعددت أنواع الحوار في القرآن الكريم بحيث شملت: -

(١) حوار الإنسان مع ذاته:ومنه حديث إبراهيم -عليه السّلام -مع ذاته عن الكواكب حيث يقول: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً

قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٢).

والهدف من هذا الحوار الذّاتيّ هو مناقشة الذّات من أجل الوصول إلى الحقيقة؛ حقيقة خالق هذا الكون، وقد وصل إبراهيم -عليه السّلام -إليها؛ ولهذا كان سلوكه منسجماً مع الحقيقة اليقينيّة التي توصّل إليها.

(٢) حوار الفكرة: القرآن الكريم كتاب دعوة وفكر، والفكر هو أرقى ما وهبه الله -سبحانه- لعباده، به سما الإنسان على سواه من المخلوقات، وبه كان رقيّه وتقدّمه، والقرآن يدعو في كثير من آياته إلى إعمال الفكر والنّظر في ملكوت هذا الكون الواسع، بما فيه من نجوم وكواكب وبحار وأنهار وجبال وسهول وأناسيّ وأنعام ونبات(١٣)، ويحثّ على التّفكير في هذه الموجودات جميعها، كيف خُلقت؟ ولماذا خُلقت؟ و يضرب الأمثال التّوضيحية كي يبيّن للنّاس قدرة الله -سبحانه- على الخلق، وذلك لما لهذه الأمثال من تأثير كبير في تغيير نفوس المقبلين على الإيمان والمؤمنين، ومن هذا النّوع قوله تعالى ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. (١٤)

فغاية الحوار القصير في هذه الآية إظهار قدرة الله - سبحانه- في الخلق. لمن تساءل عن البعث، بحيث قدّم إليه الحجّة العمليّة الدّامغة التي لا يبقى بعدها مكان لجدل أو نقاش، ومثل هذا الحوار متعدد في القرآن لمن شاء الاستزادة. (١٥)

(٣) حوار في السماء: سبق الحوار وجوداً، ظهور الإنسان على وجه الأرض فقد حاور الله - سبحانه- الملأ الأعلى في السّماء قبل مجيء آدم -عليه السّلام- وزوجه إلى الأرض، ومن صور هذا الحوار: -

أ-حوار الله للملائكة: الملائكة مخلوقات غيبيّة، وهم عباد مكرمون " لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ "(١٦)، وهم ذوو وظائف تتعلق بالأنفس والأرواح، وزّعها الله عليهم ينفّذون بها إرادته في خلقه، فمنهم من يبلّغ الوحي والتّكاليف والرّسالات إلى أنبيائه ورسله، ومنهم من يؤيّد به الأنبياء، ويثبّت المؤمنين، ومنهم المبشّرون بحسن العاقبة الذين

أحسنوا في الدّنيا واتّبعوا ما أنزله الله . (١٧)، وفي هذه الإياب يخاطب ربٌّ العزّة ملائكته قائلاً : " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ " . (١٨)، وعند هذه النّقطة من الحوار يطلب الله إلى ملائكته أن يسجدوا لآدم؛ سجود تحية، لا سجود عبادة فلا يكون منهم إلا السّمع والطاعة، وأما الحوار في الآيات فهو شأن من شؤون الله -تعالى - مع ملائكته، صوّره لنا في هذه القصة بالقول والمراجعة والسّؤال والجواب، ونحن لا نعرف حقيقة ذلك القول، وكلّنا نعلم أنّه ليس كما يكون منّا، وأنّ هناك معاني قصدت إفادتها بهذه العبارات وهي عن شأن من شؤونه- تعالى -قبل خلق آدم، وأنّه كان يعدُّ له الكون، وشأن مع الملائكة يتعلق بخلق نوع الإنسان، وشأن آخر في بيان كرامة هذا النّوع وفضله . (١٩)

**وأما الفائدة من هذا الحوار فيمكن إجمالها في الآتي :

١ . أنّ الله تعالى في عظمته وجلاله يرضى لعبيده أن يسألوه عن حكمته في صنعه، وما يخفى عليهم من أسرار خلقه ولا سيما عند الحيرة .

٢ . إذا كان من أسرار الله -تعالى- وحكمه ما يخفى على الملائكة، فنحن أولى بأن يخفى علينا، فلا مطمع للإنسان في معرفة جميع أسرار الخليقة وحكمها، لأنّه لم يؤت من العلم إلا قليلا .

٣ . إن الله -تعالى- هدى الملائكة في حيرتهم وأجابهم عن سؤالهم لإقامة الدليل بعد الإرشاد إلى الخضوع والتّسليم .

٤ . تسلية النّبي -صلّى الله عليه وسلّم- من تكذيب النّاس ومحاجتهم في النّبوة بغير برهان على إنكار ما أنكروا، وبطلان ما جحدوا، فإذا كان الملأ الأعلى قد مثّلوا على أنهم يختصمون ويطلبون البيان والبرهان فيما لا يعلمون، فأجدر بالناس أن يكونوا معذورين، وبالأنبياء أن يعاملوهم كما عامل الله -سبحانه- الملائكة المقرّبين . أي فعليك أيها الرّسول أن تصبر على هؤلاء المكذبين وترشد المسترشدين وتأتي أهل الدّعوة بسلطان مبين . (٢٠)

ب-حوار الله لإبليس: إذا كان حوار الله -سبحانه- للملائكة أمرا تكريميا لهم، فإن حواره مع إبليس يستأهل التّوقف عنده طويلا ومليا، فطرفا الحوار هما : ربّ العزّة -جلّ جلاله-العظيم الكريم العليّ القدير، وإبليس أحطّ المخلوقات وألعنها وأفعلهم للفواحش

والشّرور سرّها وعلنها، مما يرفع مرتبة الحوار إلى مستوى الهدف لا الوسيلة، فلم يسمع عن بشر حاوروا أعداءهم، ولا عن منتصرين حاوروا المهزومين، بل كانت هناك شروط تملى، وما على الضعفاء إلا الإذعان والقبول، وبهذا نرى مكانة الحوار في القرآن بهذا المستوى الذي يصل إلى مخاطبة ربّ العزّة جلّ شأنه، طريده إبليس اللّعين، ويأتي الحوار مع إبليس بعد تكليف الله- سبحانه - الملائكة السّجود لآدم، فيسجد الجميع إلا إبليس، فيسأله ربه: " قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَار وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِين قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّين قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمَ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنْ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ "(٢١).

ويلاحظ في هذا الحوار أنّ الله -سبحانه- قد نادى إبليس باسمه، فقال: "يا إبليس"، وأنّه سبحانه قد نسب خلق آدم إلى اليد للتّشريف بالاختصاص، كما قال: "ونفخت فيه من روحي" وتثنية اليد كناية عن الاهتمام التّام بخلقه وصنعه، فإنّ الإنسان إنّما يستعمل اليدين فيما يهتم به من العمل، فقوله: "خلقت بيديّ"، كقوله: "ممَّا عَملَتْ أَيْدينَا "(٢٢). أما إبليس فقد تعلل بحجج واهية لتبرير عدم سجوده لآدم، طاعةً لأمر الله، فهو خير من آدم كونه مخلوقاً من نار وآدم مخلوق من طين، فالنّار عنده أكرم من الطّين، وهذا من باب الاستعلاء المكروه، والمفروض أن يطاع أمر الله دون مناقشة، ومع هذا فقد تجرأ إبليس وطلب من الله أمراً لا يملكه إبليس، وهو أن ينظره ربّه إلى يوم يبعثون، وقد استجاب الله - سبحانه- لطلب إبليس فأمهله، مع أن غاية الطلب لم تكن نبيلة ولا شريفة (٢٣)، إذ تتضمن بوضوح وعداً بإغواء النّاس، ومع هذا فقد أجاب الله طلبه، ألا يستدعي هذا الأمر وقفة متأنية!؟

ج-حوار الله لأدم: آدم- عليه السّلام-هو أبو البشرية جمعاء، مؤمنها وعاصيها، وهو الذي ارتبط اسمه بالملائكة المكرّمين حين طلب الله إليهم أن يسجدوا لآدم، وبإبليس في الرّفض، وبعاقبة إبليس، جزاء فعلته، وخضوع الملائكة وإقرارهم بان لا معرفة لديهم إلا ما علّمهم ربهم. ويستكمل القرآن هذه القصّة بحواره مع آدم وزوجه، في ما يمكن أن نسميه اختبارا، فيقول جلّ من قائل: " وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ

سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنْ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنْ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ" (٢٤)

نرى في هذا الحوار كرم الله –سبحانه– وتلطفه مع آدم وزوجه؛ حيث ناداه باسمه، وأنعم عليهما بالجنّة يسكنان فيها ويأكلان بحريّة، ومنعهما الاقتراب من شجرة واحدة، اختبارا لهما، وافهمهما أنّ المعصية ظلم يلحق بفاعلها؛ ليكون الجزاء من صنف العمل، ولكن الشّيطان يوسوس لهما ويغريهما بالخلود إن هما ذاقا الشّجرة، وفي هذا إشارة إلى توق النّفس الإنسانيّة إلى الخلود، ولهذا فعلا فعلتهما، وحين ناداهما ربهما مذكّرا: " أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ "، حينها اعترفا بذنبهما، وأقرّا بالمعصية، وطلبا المغفرة، وفي هذا درس عظيم للمؤمنين الذين يرتكبون المعاصي؛ لأنّهم يجدون باب التّوبة مفتوحا فيدخلون فيه، بعكس فعلة إبليس.

ويستكمل القرآن هذا الحوار في موضع آخر، حين يعلن آدم وزوجه التّوبة، فيجتبيه ربّه ويقول له ولزوجته: " قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ". (٢٥)، فقد بين الله –سبحانه– لآدم وذريته أنّ الشّيطان عدوّ لهم، وأعلمهما أنّه لن يتركهما للضّلال والشّقاء، بل سيرسل رسل الهداية، فمن تبع ذكر الله فلن يضلّ، ومن أعرض عنه فإنّه سيشقي نفسه، وبهذا حدّد الله –سبحانه– للبشريّة طريق الهدى ونتيجتها، وطريق الضّلال ونتيجتها، وما على الإنسان إلا الاختيار بين طريق الله الموصلة إلى رضوانه والجنّة، أو طريق الشّيطان الموصلة إلى الشّقاء.

وتتكرر صور الحوار بين الملائكة وآدم وحوّاء من جهة، والله –سبحانه– من جهة أخرى، يضاف إليها صور من ردود إبليس اللّعين على الله –سبحانه– يبرّر بها عصيانه؛ فهو تارة من الجنّ، وتارة حاقد؛ لأنّ الله قد كرّم آدم عليه، ولذا يتوعد أبناء آدم ويتهددهم، فيمدّ له الله حبل الحياة إلى يوم القيامة (٢٦)، وهذا يعني أن الصّراع مع الشّيطان وأتباعه سيظل قائما

حتى يوم الدّين.

د-حوار أهل الجنّة وأهل النّار: الجنّة والنّار غيب محجوب نؤمن به، وسوف يكون مآل المؤمنين إلى الجنّة، ومآل الكافرين إلى النّار، والمشهد الحواريّ داخلهما لم يأت بعد؛ بالمفهوم البشريّ للزّمن، الذي يتحدد بالماضي والحاضر والمستقبل، فالمستقبل لا يعلمه إلا الله، ولكنّه سبحانه يطلعنا على هذا الغيب القادم؛ حتى نتعظ ونكون من الفائزين برضوانه، ويأتي المشهد الحواري الذي تمتزج فيه الأصوات بالحركات والانفعالات على النّحو الآتي: " وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ "(٢٧).

يطلعنا الله -سبحانه- من خلال هذا المشهد الحواريّ على صورتين متباينتين: الأُولى لأهل الجنّة الذين صدقوا الله فصدقهم حين وجدوا ما وعدهم ربهم حقا، بينما لم يجد الكافرون سوى النار، ويظهر الحوار صدق أهل الجنة وكذب أهل النار، كما يظهر السعادة عند الطرف الأول، والتعاسة والحزن عند الطرف الثاني، واكتفاء أهل الجنة ورضاهم بالعيش الرغيد في مقابل الجوع والعطش الذي يعيشه أهل النار، إضافة إلى الاطمئنان النفسي عند الأوائل، والخوف والقلق عند الآخرين، مما يعزز إيمان المؤمنين ويزيده، وذلك من خلال الصورة المتحركة التي ترجمها الحوار.

أما عن سبب دخول هؤلاء المجرمين النار، فيأتي جوابا عن سؤال يطرحه أهل الجنة عليهم قائلين: " إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ "(٢٨)، فترك الصّلاة والعزوف عن الإنفاق ودفع الزّكاة والصّدقة والخوض في أعراض النّاس والتّكذيب بيوم القيامة، كلها أسباب

تقود إلى النّار، وفي هذا إشارة واضحة إلى ضرورة أن يجتنب النّاس، وبخاصة أهل الإيمان منهم، عصيان الله في هذه الأمور وأمثالها.

هـ-حوار أهل النار بعضهم مع بعض: وصفت الآيات السابقة حوار أهل الجنة مع أهل النار، وبينت حال الطرفين من الصدق والكذب، والكرامة والشقاوة، والعزة والمذلة، وفي هذه الآيات نرى ونسمع حوارهم مع بعضهم البعض داخل جهنم، حيث يقرع بعضهم بعضا، فيحمّل التّابعون المضلّلون متبوعيهم نتائج أعمالهم التي أودت بهم إلى النار، ويتنصل المتبوعون المضلّون من هذه التهمة، محملين المسؤولية للجميع بدون استثناء، ثم التجاء الطرفين المتحاورين معا إلى خزنة النار، بالرجاء أن يدعوا ربهم أن يخفف عنهم جزءاً من عذاب الجحيم، فلا يستجاب لهم؛ لأنّ هذا الطّلب قد جاء في غير موعده، فقد أعطى الله هؤلاء وأمثالهم فرصة الحياة الدّنيا كلّها؛ كي يعودوا إليه بالتّوبة، فإذا انتهى الأجل، انقطع الأمل، وأغلقت أبواب التوبة؛ لأنّ التوبة تكون في الحياة لا بعدها، وهذا ما ينبغي أن يعيه الأحياء الذين لا يعرفون متى تكون نهاية الأجل. وقد أورد القرآن الكريم الحوار على النحو الآتي: " وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ "(٢٩).

و-حوار الله مع أنبيائه: الأنبياء هم صفوة الخلق من بني البشر، اختارهم الله -سبحانه- لحمل دينه إلى أقوامهم بخاصة أو الناس بعامة، ولهذا استحقوا شرف التكريم من الله، سواء بإنزال الوحي أم بإعطاء المعجزات أم بالحديث، ومنهم على سبيل المثال:

١. **إبراهيم عليه السّلام**: انه أبو الأنبياء جميعهم، ميزه ربه بأوصاف لم يميز بها غيره؛ كوصف الله له بأنه خليله، كما في قوله تعالى: " وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا "(٣٠)، ووصفه بأنه أمّة بكاملها: " إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً "(٣١).

ومع هذه الصفات والمزايا التي تعبر عن حب الله له، فقد ضرب الله به أروع الأمثلة في الحوار، ومن ذلك حواره في قضية البعث، قال الله تعالى: " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ" (٣٢).

يعلمنا هذا الحوار كيف يكون الأدب مع الله -سبحانه -فإبراهيم -عليه السلام- يبدأ الحديث مع ربه بالإقرار بهذه الرّبوبيّة، فهو يريد أن يتعلّم، فيأتيه الجواب من ربّه: "أو لم تؤمن" فيرد إبراهيم "بلى"، ولكنه يريد المزيد من الطمأنينة، حينها يقدم له ربه البرهان العملي من خلال عمل يقوم به إبراهيم نفسه عليه السلام، وهذا ترجمة عملية لحسن السؤال، فحسن السؤال نصف العلم، وإبراهيم -عليه السّلام -لا يشكّ في قدرة الله، ولكنّه يريد أن يطمئنّ قلباً، والله -سبحانه- يعرف سريرة إبراهيم فيستجيب له، كي يعلم هو والأنبياء من بعده كيف يتعاملون مع أسئلة الناس، مهما كانت قاسية أو جافية، فالمسؤول عليه أن يجيب السائل على قدر عقله، وحين اختبر الله إبراهيم بما شرع له من تكاليف فأدّاها وقام بها خير قيام، قال له ربه إني جاعلك قدوة للناس، حينها طمع إبراهيم بأن يكون هذا الشرف في نسله أيضا، فأجابه ربه بأن الأمانة في الدين لا تنال الظالمين، فالنبوّة لا تورث؛ لأنها ليست متاعا من أمتعة الدنيا، بل هي هبة من الله يختار لها من عباده الصالحين، ولما كان الموقف موقف دعاء، فان إبراهيم يطلب من ربه طلبا عاما يخصّ البلد الحرام؛ إذ يسأله أن يجعله بلداً مستقرّاً آمناً من الخوف (٣٣). يصف القرآن الكريم هذا الحوار على النحو الآتي: يقول رب العزة لإبراهيم "إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" فيدعوا إبراهيم ربه قائلاً: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"، وحين أمره ربّه قائلا: أَسْلِمْ، "قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ" (٣٤).

٢. **موسى عليه السّلام**: يعرف موسى في القران الكريم بصفيّ الله، فقد اصطفاه لنفسه وألقى عليه محبّة منه، وبأنّه كليم الله، فقد كلّمه أكثر من مرة، وكان الحوار يطول أحيانا؛ لأنّ موسى يستمتع بمحادثة الخالق ويريد للحديث أن يطول، ومن نماذج هذا الحوار ما حدث له عندما شاهد ناراً، فذهب يأخذ منها قبساً، علّ أهله يصطلون، ولكن لم يجد النار بل سمع ربه يناديه "فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَامُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ

وَقَوْمه إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسقينَ" . (٣٥)

يستَفَاد من هذا الحوار بأَن الله سبحانه يحمي رسله، وهذه الحماية لا تنفي الابتلاء، فأشد الناس ابتلاء هم الأمثل فالأمثل، ولكن عواقب الابتلاء تكون نصراً، وهذا جزاء الصابرين، وفي هذا الحوار نرى المعجزة التي أجراها الله سبحانه لنبيه موسى -عليه السّلام- وهي العصا المتحوّلة إلى جانّ مخيف، مع أنها جماد ليست الحركة جزءاً من خصائصها، وكذلك يده التي تصير بيضاء من غير سوء. وهاتان المعجزتان ستصبحان دليلاً لموسى على صدق نبوّته أمام الطغاة في عصره يحاجج بهما فرعون وملأه، فإذا اطمأن موسى إلى رعاية ربه له، جاءه التكليف بعد ذلك: "اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا موسَى وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى "(٣٦)، لقد قبلَ موسى التكليف وسأل الله العون في الذات والآخر؛ حتى يؤدي المهمة على أكمل صورة مبتغاة، ولهذا كانت الإجابة الفورية من ربه، لقد أحسّ موسى بنقص في نفسه وبحاجة إلى من يعضده في هذه المهمة فسأل الله العطاء فجاءه الرّدّ بالإيجاب، لأنه ذاهب في سبيل الله، لا لحاجة في نفسه أو لنفسه.

ويذكر الله سبحانه نبيه بما كان من أمر طفولته، حين ألقته أمه في اليم فرده الله إليها كي تقر عينها ولا تحزن، وبإنقاذه من زبانية فرعون، ومن الغم الذي أصابه بعد ما قتل نفسا من شيعة فرعون، وبعدها يأمره بالذهاب إلى فرعون وأخاه هارون: "اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى "(٣٧)، ويستفادَ من هذا الحوار أمور منها:

* أدب الخطاب مع الله.

* الدعوة بالتي هي أحسن، حتى مع الطغاة والجبابرة، إذ يطلب الله سبحانه إلى رسوليه أن يذهبا إلى فرعون وأن يقولا له قولاً ليناً، فعسى أن يخشع قلبه أو يخفف من غلوائه بتذكر ربه، فإذا كان هذا اللين مطلوباً في محادثة الطّغاة، فما عساه يكون في محادثة الأصفياء والأتقياء والمؤمنين والمسلمين، انهم أولى بالملاحظة والملاينة، وهذا ما ينبغي تعلمه من هذا

الحوار، وإذا كان إبراهيم -عليه السّلام- قد سأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، فإن موسى قد سأل ما هو أعظم: " قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ "(٣٨).

لقد عرف موسى عليه السلام أنه تجاوز الحد في السّؤال، ولهذا سرعان ما عاد إلى ربه تائباً مسلماً مستسلماً لعظمته وقدرته، ومع هذا فقد استجاب الله لموسى موجهاً إلى ما تتحمله طبيعته الأرضية، بحيث يسكن قلبه ولا يعود إلى السؤال فيما هو خارج عن مداركه ولا تحتمله مكوناته الترابية، كما يوجهه إلى ما ينبغي أن يقوم به ولا يخرج عن حدود ما رسمه الله له.

٣. **عيسى عليه السلام**: نفخة من روح الله، أنطقه ربه في المهد صغيراً في غير موعد الكلام ليبرئ أمّه مريم البتول ـــ عليها السّلام ـــ مما رماها به قومها من الشّبهة التي أثارتها ولادته على غير مثال، وأجرى على يديه معجزات كثيرة مثل إحياء الموتى، وإبراء المرضى، مما دفع أناسا إلى الاعتقاد بأنه اله ولهذا يأتي سؤال ربه في هذا السياق فيقول: " وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. "(٣٩)

في هذا الحوار يكشف الله سبحانه زيف ما ينسب إلى المسيح عيسى بن مريم -عليهما السّلام- إذ يأتي نفي ادّعاء الألوهية على لسانه، فهو نبّي أمين حمل الرّسالة وأدّاها كما أمره ربه، وهو الشّاهد على ذلك، العالم بخفايا النّفوس وما تظهر، وليس بعد شهادة الله شهادة. وعيسى في إجابته يقرّ بعلم الله ابتداء حين يقول رداً على خطاب ذي الجلال ـــ "إن كنت قلته فقد علمته "وأما في شأن القائلين المحرفين فانه قد أعاد الأمر إلى صاحب الأمر؛ إن

أراد العقاب عاقب وان أراد المغفرة غفر، فهم عباد الله لا عباد سواه. وذلك حتى يتوجه الإنسان إلى خالقه لا إلى غيره. أما خطاب الله ــ سبحانه ــ للمسيح بالقول(يا عيسى ابن مريم)من دون المرسلين والأنبياء فلأن عيسى ــ عليه السّلام ــ هو الذي فتن قومه فيه، وهو الذي غام الجو حوله بالشبهات، وهو الذي خاض ناس في الأوهام والأساطير حول ذاته، وحول صفاته، وحول نشأته ومنتهاه. وأمّا المعجزات التي جرت على يديه فمن الله سبحانه، فهو الذي علّمه الكتاب والحكمة والتّوراة والإنجيل، وكان يخلق بإذن الله، ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، ويخرج الموتى بإذن الله، إذ لا يقدر على هذه المعجزات بشر إلا بإذن الله. (٤٠)

٤. **نوح عليه السلام**: لايذكر نوح ــ عليه السّلام ــ إلا وذكرت معه معاصي قومه الّتي تسببت في غضب الله عليهم وإغراقهم بالطوفان، ولا يذكر الطوفان إلا وتذكر معه سفينة النّجاة ــ سفينة نوح ــ التي حملت من آمن مع نوح وأهل بيته باستثناء ولده الذي حال الموج بينهما. يقول القرآن الكريم "وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ"(٤١). لقد نسي نوح ــ عليه السّلام ــ فيلحظة من لحظات العاطفة الأبويّة الجيّاشة أمر النبوة، فنادى ابنه ليركب، ولكن الابن لم يستجب، حينها نادى ربّه قائلا: "إن ابني من أهلي"، أي الذي وعدتني بنجاتهم إذ أمرتني بحملهم في السّفينة، "وان وعدك الحقّ "الذي لا خلف فيه، وهذا منه "وأنت أحكم الحاكمين" أي أحقّ من كلّ من يتصوّر منهم الحكم وأحسنهم وخيرهم حكما؛ لأنّه يصدر عن كمال العلم والعدل والحكمة. ومراد نوح أن ينحي ابنه الذي تخلّف عن السّفينة بعد أن دعاه إليها، فامتنع معلّلاً نفسه بأن يأوي إلى جبل يعتصم به من الغرق، ولم يقتنع بقوله له: "لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم"، فالمعقول أنّ الدّعاء وقع بعد هذه المحاورة مع ابنه وقبل أن يحول بينهما الموج، ... أمّا قوله -سبحانه- في ردّه على نوح في أمر ولده "انّه عمل غير صالح"، فإحالة إلى أصل القضيّة الإيمانيّة التي تقطع الولاية بين الكافرين والمؤمنين من الأقربين وتوجب براءة بعضهم من بعض، كما قال تعالى: " قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ

وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا باللَّه وَحْدَهُ "(٤٢)، كما أن الإيمان يوجب الولاية بين المؤمنين الأبعدين بله الاقربين كما قال عزّ وجلّ: " وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ "(٤٣)، وقيل أ ن معنى الجملة: أن سؤالك إياي يا نوح عنه وطلبك لنجاته عمل غير صالح لا أرضاه لك، ولا يليق بنبي من أولي العزم أن يخاطب بهذا ربّه، ولهذا يعاتب الله -سبحانه- نبيّه نوحا قائلاً: " فلا تسألن ما ليس لك به علم " أي ليس لك به علم صحيح، وهذا النهي يدل على أنّه يشترط في الدعاء أن يكون بما هو جائز في شرع الله وسنته في خلقه، فلا يجوز سؤال ما هو محرم وما هو مخالف لسنن الله، حينها يعود نوح -عليه السلام- مستغفراً ربّه تائباً إليه قائلاً: "إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم" أي ما ليس لي علم صحيح بأنّه جائز لائق، ويطلب من ربّه الرّحمة بالتّوبة الصّادقة، مع أنّ سؤال نوح لربه لم يكن معصية لله ولا مخالفة لأمره أو نهيه، وإنّما كان خطأ في اجتهاد كان بنيّة صالحة (٤٤).

٥. -**زكريا عليه السلام**: زكريا هو كافل مريم عليها السّلام بأمر ربّه -سبحانه-، فهو الذي كان مكلفاً بالارعاء عليها في المحراب، وهو الذي فوجئ بوجود الرّزق عندها فسألها: "أنّى لك هذا"، فأجابت: "هو من عند الله"، حينها دعا زكريا ربه من لطيف ما يدعو به عبد مولاه: " قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا "(٤٥).

طلب زكريا -عليه السّلام- وهو عجوز- من ربّه أن يرزقه الولد، وقد خاطب ربه بكل الخضوع والذّلة والضّعف ذاكراً نعمه عليه حتى يستجاب دعاؤه، إذ أن الضعف قد وصل إلى العظم حيث تخور القوى وتنهار، وذكر العظم لأنّه عمود البدن وأساس بنائه، فإذا وهن تداعى البدن وتساقطت قوّته، وأما اشتعال الرّأس شيباً فيعني: انتشار بياض الشّعر في سواده كما ينتشر شعاع النّار في الهشيم فيضّرم لهيبا، "ولم أكن بدعائك ربي شقياً" في أي وقت من الأوقات، بل كلّما دعوتك استجبت لي، وهذا من أكبر النّعم عليّ، أمّا زوجته فكانت عاقراً لا تلد، وإذا كان الأمر كذلك "فهب لي من لدنك وليّاً يرثني ويرث من آل يعقوب"

النّبوة والعلم والمحافظة على الدّين والدّعوة، حينها تبشّره الملائكة "بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ" (٤٦). لكنّ زكريّا يتعجّب كيف يمكن لزوجته أن تلد وهي العاقر، وقد بلغ هو من العمر عتيّا، فيجيئه الجواب من ربّه -سبحانه-: "هو عليّ هيّن"، "قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا" (٤٧) بعد ذلك يتجرّأ زكريّا فيخرج على قومه من المحراب يطلب إليهم أن يسبّحوا ويصلّوا لله ربّهم صباحاً ومساءً، فتلك أوقات يقبل الله فيها على عباده، وتكون نفوسهم خالية من مشاغل الدّنيا وضجيج الحياة (٤٨).

الله يعلّم رسوله كيفيّة الردّ:

القرآن الكريم مليء بالمواقف التعليميّة الحواريّة التي يجيب فيها عن أسئلة يطرحها النّاس على الرّسول-صلّى الله عليه وسلّم-، بحيث تبيّن هذه الرّدود الأحكام الشرعيّة أو الجواب الشّافي عن السؤال ومن أمثلتها في سورة البقرة قوله تعالى: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ" (٤٩). فالله يخبر رسوله -في حال سؤال العباد عنه- بأنّه قريب منهم يستجيب دعاءهم، إن كانوا مؤمنين به حقاً، وفي موضع آخر يقول: "يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (٥٠)، فالسّؤال هنا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدّل أمره، فأمره الله العزيز الحكيم أن يجيبهم بأنّ الحكمة الظّاهرة في ذلك أن تكون معالم للنّاس في عباداتهم لا سيّما الحجّ، وينفي-سبحانه-ما كان يفعله (الأنصار) حين الإحرام من اجتناب دخول البيوت من الأبواب، ويعدّون ذلك برّا، فيبيّن لهم أن البرّ من اتّقى المحارم والشّهوات، ويبدو أنّ الجواب جاء صارما للنّاس عمّا لا يعنيهم، إلى ما يعنيهم، فالرّسول جاء مبعوثاً لبيان الشّرائع لا لبيان حقائق الأشياء (٥١). وقوله: "يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ" (٥٢)، لقد رتب القرآن الكريم مصارف النفقة بادئاً بالأهم، لأنّ الاعتداد بالإنفاق يكون بحسب وقوعه في موقعه، فأقرب النّاس الوالدان يليهم الأقربون فاليتامى والمساكين وابن السّبيل، ثم تختتم الآية بالجواب الشّافي حيث أنّ الله يعلم موضع كل خير فيوفي صاحبه الأجر (٥٣). وقوله: "يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا

أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ" (٥٤)، نزلت هذه الآية بعد آيات سبقتها في حكم الخمر بحيث اختلط على الناس أمرها، فشربها أناس وتركها آخرون، إلى أن جاء تحريمها في قوله تعالى: " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (٥٥)، حينها قال عمر بن الخطّاب -رضي الله عنه-: "انتهينا يا ربّ" (٥٦)، وقوله " وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنْ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (٥٧).

لمّا نزلت الآية الكريمة "إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً" تحامى النّاس عن مخالطة اليتامى وتعهّد أموالهم، فشقّ عليهم ذلك، فذكروه للنّبي -صلّى الله عليه وسلّم- فنزلت "قل إصلاح لهم خير" أي التعرّض لأموالهم وأحوالهم على طريق الإصلاح خير من مجانبتهم، وأن تخالطوهم وتعاشروهم على وجه ينفعهم (فإخوانكم) أي في الدّين الذي هو أقوى من العلاقة النّسبيّة. ومن حقوق الأُخوة وموجبها المخالطة بالإصلاح والنّفع (٥٨). وقوله: "يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" (٥٩). فقد كان أهل الجاهلية لا يساكنون الحائض ولا يؤاكلونها، كدأب اليهود والمجوس، فلما سئل الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- عن ذلك نزلت الآية (قل هو أذى) أي شيء يستقذر منه ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة، وأمرهم باجتناب مجامعتهن في حال الحيض، إلى أن يطهرن بانقطاع الدم، ومن ثم الاغتسال فإن تطهرن فأتوهن من المأتى الذي حلّله لكم وهو القبل. (٦٠)، ويلاحظ أن هذه الأسئلة واردة جميعها في سورة واحدة، ومثيلاتها في القرآن الكريم كثيرات، فهناك سؤال عن السّاعة التي لا يعلم وقتها إلا الله ولا تأتي إلا بغتة (٦١)، ويسألون عمّا أحلّ لهم، فيردّ سبحانه بأنّه قد أحلّ الطّيّبات (٦٢)، ولا يكتفي القرآن الكريم بتعليم الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- كيفية الرّد، بل يتعداه إلى المؤمنين يعلمهم أدب الحديث: " وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ" (٦٣)، وينهاهم عن طرح أسئلة جدلية عقيمة لا ترجى منها فائدة فيقول: " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ" (٦٤)، والأمثلة في هذا الباب كثيرة جداً، يلجأ القرآن فيها إلى الحوار وسيلة لتعليم النّاس أُمور دينهم ودنياهم، بالحكمة والموعظة الحسنة، شأنه في

كل تعاملاته مع مخاطبيه من المؤمنين والمسلمين اتباع الرسل المكرمين.

الملائكة يحاورون الأنبياء:

ا- مع داود عليه السّلام: يورد القرآن الكريم قصّة داود ـــ عليه السّلام ـــ في معرض التّسرية عن قلب الرّسول محمّد -صلى الله عليه وسلّم-، إذ يطلب منه الصّبر على أذى المشركين قائلاً: " وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ" (٦٥).

وفي وصفه بالعبودية الدّالة علَى حسن امتثاله لربّه تشريف له وتكريم، وهذا ما يفعله القرآن مع الأنبياء، انظر قوله تعالى: " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" (٦٦)، وقد ذَكر القرآن لَداود عشر صفات أمر النّبي -صلى الله علَيه وسلّم -بالاقتداء بداود فيها وهي: الصّبر، والعبوديّة، وأنّه صاحب الأيدي والقوّة في العبادة، وأنه أوّاب كثير التّوبة والرّجوع إلى الله، وأنّ الله سخّر له الجبال تسبّح معه وتردّد تسبيحه، وأنّه سخّر الطّير معه محشورة كلّ له أوّاب، وقوّى ملكه ماديّاً وأدبيّاً وآتاه الحكمة ووهب له النّبوة، وأرشده إلى فصل الخطاب وإصابة الغرض والعدل في الأحكام، ثم أتبع ذلك بذكر حادثة المحراب فقال: " وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ " (٦٧)، فقد دخل الملكان على هيئة رجلين خصمين من أعلى السّور، لا من باب الغرفة، ودخلا ليلاً في غير وقت دخول الخصوم، ولهذا كان فزعه منهم، ويبدو أن المتسوّرين كانا أخوين من بني إسرائيل لأب وأم، فلما قضى بينهما قال له ملك من الملائكة: فهلا قضيت بذلك على نفسك يا داود! يذكر أنه بزواجه من امرأة أخيه (في الدين) مستعينا عليه بقوة السّلطان. وربما كانت خطيئة داود- عليه السّلام -أنّه قال: لقد ظلمك من غير تثبت ببيّنة ولا إقرار من الخصم.

أما قول العلماء ومنهم ابن مسعود وابن عباس، فإنّ داود -عليه السّلام- ما زاد على قوله: انزل لي عن امرأتك. فعاتبه الله على ذلك ونبهه؛ لأنّه تشاغل بأمر الدّنيا بالتزيّد منها، حينها خرّ داود ساجداً تائباً راجعاً إلى الله (٦٨).

إن هذا الحوار ليعلمنا كيف نتراجع عن أخطائنا مهما صغرت، وأن نعود إلى الله مستغفرين تائبين، دون مكابرة في الباطل، فالحق أولى أن يتبع، وخلق المؤمن لا يسمح له التّمادي في الباطل.

ب- **مع زكريّا عليه السّلام**: عندما دخل نبي الله زكريا على السيدة مريم وجد عندها رزقاً فسألها: من أين لك هذا ؟أجابت هو من عند الله " هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ "(٦٩).

عندما رأى زكريا حال مريم وما هي عليه من التّوفيق و الهداية، وما يتفضل الله به عليها من الخير والبركة، دعا ربه وتوجه إليه أن يرزقه ولداً صالحاً طاهراً من نسل يعقوب. فتناديه الملائكة وهو في مقام الصّلاة: إن الله يبشرك بغلام اسمه يحيى موصوفاً بأنّه يصدّق بعيسى ابن مريم، وسيكون سيداً في قومه في الدّنيا، وفي الآخرة من الصّالحين، قال زكريّا: رب اجعل لي علامة تتقدّم على المكرمة وتؤذن بها، أي اجعل لي عبادة أتعجّل بها شكرك ويكون إتمامها علامة على حصول المقصود، فأمره ألا يكلم الناس ثلاثة أيام، بل يشغل نفسه بالعبادة والتّسبيح طول الوقت خصوصاً في الصّباح والعشيّ والإبكار (٧٠)، فكان له ما سأل.

ج-**مع السّيدة مريم العذراء- عليها السّلام-**: عد الله سبحانه مريم من أصحاب النّفوس الطّاهرة التي إذا أُكرمت بالغت في الطّاعة، وإذا مدحت استماتت في العمل والاجتهاد، ومن باب التّكريم اصطفاؤها على نساء العالمين بولادة عيسى ابن مريم وخطاب الملائكة وكمال الهداية والتّوفيق وتقوى الله، ولزوم طاعته والتجّمل بالالتجاء إليه وحده والسّجود له مع الخشوع والخضوع(٧١).

ويورد القران الكريم قصتها مع الملائكة على النّحو الآتي: " إِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنْ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ " (٧٢). لقد جاءت الملائكة تبشّر مريم بأن سيكون لها ولد موصوف بالوجاهة في الدنيا والآخرة، لكنّ مريم تتلقّى هذه البشارة بالاستغراب والتعجّب، فكيف يكون لها ولد وليست متزوجة، فيأتيها الجواب مطمئناً: بأن الله يخلق ما يشاء، وتعلم الملائكة مريم بأنّ هذا الطّفل سيكلّم النّاس في المهد للدّلالة على براءة أمّه من التّهم الباطلة التي سيروّجها اليهود وغيرهم، إذ أنّ ولادة فتاة عذراء من غير رجل أمر مستهجن غير معتاد، ولكن إرادة الله سبحانه شاءت أن تكون لحظة الولادة لعيسى لحظة مباركة، تستمر بركتها في نبوّة المسيح -عليه السّلام ـــ كهلاً يعلّم بني إسرائيل مما علّمه الله من الحكمة والتّوراة والإنجيل (٧٣)، وممّا لا شكّ فيه أنّ موقف مريم -عليها السّلام- من مسألة الولادة لا يقوى عليه إلا المؤمنون الصّادقون؛ لأنّه موقف ابتلاء، يحتاج إلى عزيمة إيمانية راسخة تدفع تهم المتشككين والمكذبين، ولهذا نجد مريم تغادر بجنينها مسقط رأسها فراراً بدينها وبطفلها الموعود الذي سيكون رسولاً إلى قومه، وأما مسألة خلق عيسى فهي مثل مسألة خلق آدم، تدخل في باب المعجزة على الخلائق، لا الخالق سبحانه وتعالى، وتتوضح صورة مريم أكثر في حوارها مع الملاك جبريل الذي جاءها على شكل رجل تام الخلقة ليهب لها غلاماً زكياً، فتستعيذ بالرحمن منه إن كان تقياً، ولكنه يطمئنها بأنه رسول ربها الذي لا راد لقضائه وحكمه (٧٤).

د-مع إبراهيم عليه السّلام: عرف إبراهيم بكرمه وحبه للضيوف، وقد تجلى ذلك في مسارعته إكرام وفد الملائكة عندما دخلوا عليه في هيئة بشر. قال تعالى: " وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ " (٧٥)

لقد دخل الملائكة بأدب وقاموا بواجب أداء التحية وهي السلام، فرد عليهم إبراهيم بمثلها، وفي هذا تعليم للناس آداب الاستئذان ودخول البيوت، إذ لا يجوز الدخول إلا من الأبواب، وليس بتسلق الأسوار أو الدخول من الشبابيك أو الأبواب الخلفية، وبعد أن استأنس إبراهيم بهم ذهب يؤدي واجب الضيافة بإحضار عجل سمين، لكن الملائكة ما جاءوا لأكل أو لشرب بل لإبلاغ رسالة، وهذا ما يستكمله القرآن في موضع آخر يقول: " وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنْ

الْغَابِرِينَ "(٧٦).

ويلاحظ في هذه البشرى أنّها كغيرها من البشائر التي تنقلها الملائكة للأنبياء الصّابرين، تحمل في طياتها معجزة، فإبراهيم قد بلغ من العمر عتيّا، كما هي حال زوجته العقيم، ومع هذا تأتيه البشارة بغلام عليم، وهي مكافأة له على صبره، وعدم يأسه من رحمة الله، وحين يعلمه الملائكة بأنهم مرسلون إلى قوم لوط لإيقاع العقوبة بهم، يبدأ بمجادلة الملائكة عن آل لوط -وهو ما لم يذكر هنا- فيخبره الملائكة بأنهم منجوهم أجمعين، إلا زوجة لوط فقد سبق عليها القول. وقد برزت كلمة الرحمة في قول إبراهيم تنسيقا مع المقدمة في هذا السياق، وبرزت معها الحقيقة الكليّة: أنّه لا يقنط من رحمة الله إلا الضالون الذين لا يحسون رحمته ولا يستشعرون رأفته وبره ورعايته، أمّا القلب النّدي بالإيمان المتصل بالرحمن، فلا ييأس ولا يقنط مهما أحاطت به الشدائد، وغاب وجه الأمل، فان رحمة الله قريب من المؤمنين (٧٧).

هـ- مع لوط عليه السّلام: لوط نبي كريم ابتلي بقوم مجرمين، نشروا فاحشة في الأرض لم يسبقهم إليها أحد، حاول لوط معهم جهده كي يرعووا ويعودوا إلى رشدهم، لكنهم تمادوا في غيّهم حتّى استحقوا غضب الله السريع، فخسف بهم الأرض، وفي المشهد الحواري الآتي يسجّل القرآن الكريم حوار الملائكة الأطهار للوط حين جاءوا يخبرونه بما سيحلّ بقومه من نكال، جزاء فعالهم المنكرة، وقد جاءوا على هيئة أناس عاديين، فشاهدهم قوم لوط فتزاحموا على بابه يبتغون صنع الفاحشة معهم، فخاف لوط خوفا شديداً على ضيوفه، وحينها أعلمه الملائكة بحقيقة أنفسهم، وبما سيحلّ بهؤلاء المجرمين من عذاب قريب، ويرسم القرآن المشهد الحواري مبتدأ بفعل المجيء: " فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوط الْمُرْسَلُونَ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيه يَمْتَرُونَ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنْ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاء مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاء ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنْ الْعَالَمِينَ قَالَ هَؤُلَاء بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ "(٧٨). لقد جزع لوط لأنّه لم يكن قادراً على حماية ضيوفه، ولهذا حاول أن يثني قومه الفجرة عن الاقتراب منهم بعرض بناته عليهم، إن كانوا لا بدّ فاعلين، وحين رفضوا العرض قام الملائكة بتطمين لوط، ونصحوه أن يغادر المكان ليلاً ومن تبعه من المؤمنين،

ودلّوه على المكان الذي يلجأ إليه، وبعد ذلك أنزل الله سخطه عليهم، فجعل عالي أبنيتهم سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل. فان الله ليملل للظالمين حتى إذا أخذهم لم يفلتهم، وهذه عبرة لمن يعتبرون.

****حوار الأنبياء مع الطغاة:** الخطأ جائز على الإنسان، فليس هناك معصوم في البشر إلا الرسل، في أُمور التشريع والتبليغ، والخطيئة وليدة الاختيار؛ لأنّ الإنسان إنما يفعل بجوارحه ما يفكر فيه بعقله، فهو الكائن المختار الذي قبل الأمانة في حين رفضتها السماوات والأرض والجبال.

وقد كانت حادثة القتل الأولى في التاريخ على يد أحد ولدي آدم، حين سوّلت له نفسه قتل أخيه، يقول الحق سبحانه: " وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ "(٧٩).

إن مطاوعة النفس تودي إلى المهالك، وهذا ما حصل لقابيل حين قتل أخاه هابيل؛ بسبب الغيرة العمياء التي حجبت عقله عن قبول ما اختاره الله وتقبّله، فأصبح من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم، ومن النادمين حين لا ينفع ندم، وقد أفادنا الحوار بين الشقيقين أن النذر ينبغي أن يكون لله، وأن يقدّم بنفس زكية؛ لأنّ الله يتقبل من المتقين، والمتقون لا يقدمون إلا كل طيب، أما حوار الأنبياء مع الجبابرة فنضرب عليه الأمثلة الآتية:

أ. حوار إبراهيم عليه السلام مع الملك الجبار: يعتقد الطغاة بأنهم آلهة الأرض، وأنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة، التي تجعلهم دائماً على حق، وغيرهم دائما على خطأ، ولهذا يستكبرون في الأرض، ولا يتقبلون نصائح الأنبياء ولا العلماء، لأنها تخالف أهواءهم، ولا تتجارى مع مصالحهم الأرضية الظالمة، وقصّة إبراهيم عليه السّلام مع الملك الجبار خير شاهد على مثل هذا الحوار يوردها القرآن الكريم على النحو الآتي: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ "(٨٠).

النمرود ملك بابل هو حجيج إبراهيم، إذ أنكر أن يكون ثمّ اله غيره، فطلب من إبراهيم

دليلاً على وجود الرب الذي يدعو إليه، فقال إبراهيم: "ربي الذي يحيي ويميت" فرد النمرود بأنّه يحيي ويميت أيضا، إذ أمر بإحضار رجلين استحقّا القتل فأمر بقتل أحدهما وبالعفو عن الآخر، فذلك معنى الأحياء والإماتة، مع أنّ هذا الفعل لا يحمل معنى الأحياء والإماتة الذي قصده إبراهيم، وحينها أدرك إبراهيم أنّ النمرود يكابر فقال له: "إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب" أي إن كنت كما تدّعي، فلمّا عجز عن الفعل وخانته كبرياؤه المزيفة خرس ولم يستطع الكلام وقامت عليه الحجة(٨١)، وهذا مصير الذين يجادلون في الحق الواضح من غير علم ولا كتاب مبين.

ب. **حوار موسى عليه السّلام وفرعون**: حوار موسى مع فرعون من أطول الحوارات الموجودة في القرآن الكريم، وهي موزعة على العديد من سوره؛ لأنّ طغيان فرعون فاق كل الحدود، من قتل وسبي وادّعاء واستكبار وعتوّ في الأرض وظلم شديد للعباد، هو وحاشيته، وهو الذي كذّب برسالة موسى رغم رؤيته للمعجزات التي أجراها، وعصى أمر ربّه "فَكَذَّبَ وَعَصَى ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى "(٨٢)، ومع هذا لم ييأس موسى -عليه السّلام- من محاورة هذا الطاغية، بالتي هي أحسن. وفي هذا المشهد الحواري يلتقي موسى- عليه السّلام- الذي تربّى في بيته ليكون بينهما الحوار الآتي: "قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنْ الْكَافِرِينَ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنْ الضَّالِّينَ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنْ الْمُرْسَلِينَ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ قَالَ لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنْ الْمَسْجُونِينَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنْ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ

فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ" (٨٣).

يلاحظ في هذا الحوار موقف فرعون الاستعلائي في مخاطبة موسى عليه السلام حين يذكّره بما يمنّ به عليه ألم نربك (فينا)! ولبثت (فينا)، حيث كرّر فينا ليذكّره بما قدّموه له من مأكل ومشرب، وبطول المدّة التي مكثها فيهم، ويصف فعلة موسى بالكفر، ويقصد كفر النعمة التي أولاها فرعون، وحين يأتي دور موسى -عليه السّلام- في الردّ نجده يحيل الأمور إلى أصولها، فقتله الرّجل كان بسبب ما كان يعيش فيه من ضلال، ولهذا خاف بطش زبانية فرعون فهرب، ويسخر من قوله حين يذكره بنعمه عليه فيقول: وهل استبعادك بني قومي نعمة تمنّها عليّ؟!

وبعد ذلك تبدأ محاجّة شبيهة بتلك التي كانت مع إبراهيم -عليه السلام- والنمرود، حيث يسأل فرعون عن رب العالمين فيجيب موسى بأنّه ربّ السماوات والأرض وما بينهما، فيلتفت فرعون ساخرا ناحية حاشيته ويقول: ألا تسمعون هذا الذي يقول!؟ ثمّ يتهم موسى بالجنون وهي تهمة طالما اتّهم بها الأنبياء من قبل وفي ما بعد، وفي هذا تسرية عن قلب الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- الذي اتّهم بمثل هذه التّهم وسواها، ويهدد فرعون موسى بأنّه أن تجرّأ وعبد إلها غيره ليجعلنّه في السّجن، وهي دلالة على إفلاس فرعون وفراغ حجته، وهذا ما يفعله الطغاة عندما لا يجدون وسيلة يحققون بها أهدافهم غير القوّة والبطش لم يفزع موسى من تهديد فرعون بل سأله بهدوء: وماذا لو بيّنت لك بالدليل صحّة وصدق ما أقول، حينها لم يجد فرعون ما يقوله سوى هات ما عندك، ويضيف مشككاً، أن كنت من الصّادقين؛ لأنّ فرعون لا يريد لصدق موسى أن يبين، فيلقي موسى عصاه فإذا هي ثعبان واضح وينزع يده فإذا هي بيضاء، لحظتها يقول فرعون: هذا سحر، وهذه أفعال السّحرة، ويتّهم موسى بأنّه يريد أن يطردهم من أرضهم باستخدام السّحر في محاولة للاستعداء على موسى، ويسألهم رأيهم في الأمر، حينها تقول الحاشية: أرسل إلى مهرة السّحرة وليبارزوا موسى في يوم معيّن، ويستكمل الحوار بحضور السّحرة الذين طمعوا في الجائزة أن كانوا هم الفائزين، فيجيبهم فرعون بأنهم سيفوزون بالجائزة وبالقربى منه أيضاً؛ تشجيعاً لهم على بذل أقصى الطّاقة وتخلّصاً من الموقف الحرج الذي أوقعه موسى فيه، وتبدأ المبارزة بإلقاء العصيّ والحبال من السّحرة هاتفين باسم فرعون وعزّته، ويلقي موسى عصاه فإذا هي

تلقف ما يأفكون ... وهنا تنكشف الحقيقة حين يخرّ السّحرة ساجدين قائلين: آمنّا برب العالمين، ربّ موسى وهارون؛ لأنّهم عرفوا أنّ ما فعله موسى لم يكن سحراً بل حقيقة، وهنا يطير صواب فرعون الذي لا يتصور أن يقوم السّحرة خاصّته بالسّجود لرب موسى وهارون دون إذن مسبق منه فتهددهم بالتقطيع والتعذيب والصّلب، لكنّ السحرة يقولون بثبات: لن يضرّنا هذا، لأنّنا سنعود إلى ربنا مؤمنين وسيغفر لنا ذنوبنا كوننا الرّوّاد في هذا الطّريق، طريق الإيمان، ومما لا شك فيه أنّ نجاح موسى -عليه السّلام- في محاججة فرعون كان لها أكبر الأثر في إلحاق أكبر الأذى في نفس فرعون، الذي شعر بهزيمة داخليّة ساحقة إمام شعبه الذي نصّب نفسه عليهم إلها؛ وهي نهاية الكبر والاستخفاف بآيات الله ورسله، ونجد مثل هذا الحوار في مواقع أخرى من القرآن الكريم يمكن العودة إليها لاستكمال بعض المشاهد(٨٤).

***حوار الأنبياء مع أقوامهم:** مهمة الرسل من أصعب المهام الموكولة لأبناء آدم؛ ولهذا يختار الله لهذه المهمّة أعظم البشر، وهم صفوة النّاس، ذلك إن إقناع النّاس بدين الله وحرفهم عن عبادتهم الضّالة التي هم فيها لا يكون بالسهولة التي بظنها من لا يعرف دخائل النّاس، فالأنبياء يحتملون في سبيل الدعوة كلّ الصّعاب والمشاق، ويصبرون على الأذى الجسدي والنفسي الذي يتعرضون له، دون أن ينقص ذلك من إيمانهم شيئاً، بل إنهم يزدادون مع الابتلاء إيمانا وثباتا ومضيّا على الحقّ، وقد عرض القرآن الكريم لكوكبة من الأنبياء -عليهم السلام- ما جرى لهم مع أقوامهم ليكون في قصصهم عبرة لأُولي الألباب وللرسول محمد- صلّى الله عليه وسلّم- وإتباعه بشكل خاصّ، ومنهم على سبيل المثال:

أ- **إبراهيم عليه السلام وقومه**: لا يحبّ أحد أن يتفوّق عليه إنسان سوى ولده، فالأب يحب لبنيه أكثر مما يحبّ لنفسه، ولكنّ اختلاف الرأي بين جيليّ الأب والابن يسبب مشكلات، وبخاصّة مع الأبناء؛ فهم يرون أن أبناءهم قد خرجوا عن طوعهم؛ لأنّ كثيرا منهم لا يؤمن بسنّة التطوّر، ولا يقبل مخالفة الأبناء، وان صحّت، وقد ابتلي إبراهيم بأبيه أولاً، قبل أن يبتلى بقومه، ففي ظنّ الولد أنّ أباه سيتفهمه قبل سواه، ولكنّ الأب كان يمثّل العناد بكل أبعاده وجبروته. وقد رسم القرآن الكريم صورا لحوار إبراهيم مع أبيه فقال: "إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنْ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدْ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا

يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنْ الرَّحْمَانِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَاإِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا" (٨٥).

نلاحظ في هذا الحوار ما يتمتع به نبيّ الله إبراهيم-عليه السّلام-من أدب رفيع في مخاطبة والده؛ إذ كرر قوله (يا أبت) أربع مرّات: مرة سائلاً لماذا يعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفيد، وثانية أبلغه بأنّه قد جاءه علم من الله لم يأت الأب، وطلب إليه أن يتبعه ليفوز بالهداية، وثالثة نهاه عن عبادة الشيطان المتمثلة في عبادة الأوثان التي تقود إلى النار، ورابعة عبر له عن خوفه عليه من الاستمرار في هذا الطريق الموالي للشيطان، وعندما نهره أبوه وهدده بالرجم إن لم يرتدع وينثني عمّا هو فيه، لم يكن جواب إبراهيم لأبيه إلا إلقاء تحيّة الإسلام عليه، ألا وهي السّلام، واللجوء إلى الله مستغفراً له ربه عسى أن يقبل دعاءه. وبهذا يرسم إبراهيم طريقاً للأبناء كيف يتعاملون مع آبائهم حتى ولو كانوا على الشرك.

أما حواره مع عشيرته الأقربين بمن فيهم والده، فيوردها القرآن على النحو الآتي: " إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ" (٨٦).

في هذا الحوار ينتقل إبراهيم ليحاجج قومه بالتي هي أحسن، فيسألهم عما يعبدون ــ وهو يعلم ــ فيجيبونه بأنهم يعبدون أصناماً، فينتقل إلى السؤال عن الفائدة التي تقدمها هذه الأصنام لهم؛ فيأتي الجواب التقليدي بأنهم في هذا الأمر تابعون لسنة آبائهم، أي أنهم لا يعملون عقولهم في هذا الأمر، وهنا يخبرهم إبراهيم انه عدو لكل هذه المعبودات، وأنّه لا يعبد إلا الله سبحانه، ويعلل إجابته بانّ الله هو الخالق الهادي، وهو الرازق المطعم السّاقي، وهو الشافي والمحيي والمميت، وهو الغفور الرحيم الذي يقبل التوبة عن عباده المخلصين. ويلاحظ في تعابير إبراهيم أنّه يستخدم العقل والمنطق في محاججته، وأنّه ركّز على أن الله هو الهادي، بقوله: (فهو يهدين)، وأنّه الرّزاق، هو الرازق (هو يطعمني) وهو الشافي (فهو يشفين) ولكنه عندما ذكر الموت والحياة لم يستخدم كلمة (هو) لان أحدا لا يستطيع ادعاء

الخلق والإفناء أو الموت والإحياء، وبخاصة بعد هزيمة النّمرود في هذه المسألة.

بعد هذا الحوار يقرر إبراهيم ـــعليه السّلام ـــتقديم الدليل العملي على صدق أقواله فيما يخص الأصنام من حيث النفع والضرر. يقول القران الكريم " فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنْ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا به عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ "(٨٧). أراد إبراهيم أن يعرف ردة الفعل عند قومه بعد تكسيره الأصنام، لعلهم يراجعون أنفسهم ويعودون إلى الهدى، لكن الأمور لا تجري في هذا الاتجاه، فمصالح القوم مرتبطة بهذه الأصنام، ولهذا يبدأ الحديث عن الفاعل، الذي سرعان ما تشير أصابع الاتهام إلى إبراهيم، وحين يحضر إبراهيم يسأله القوم باستنكار قائلين: أأنت فعلت هذا بآلهتنا؟ فيجيب إبراهيم بسخرية مريرة: بل فعله كبيرهم هذا، وهو ردّ استخدم فيه إبراهيم أسلوبه الإشاري نفسه بقوله (هذا) إشارة إلى كبير الأصنام. حينها راجع القوم أنفسهم وعرفوا أن هذه المعبودات ليست سوى حجارة جامدة، لا تنفع ولا تضر، وحينها انتهز إبراهيم الفرصة مستنكراً عليهم هذه الأعمال مصغراً من شأن الأصنام التي قال فيها وفيهم "أف لكم ولما تعبدون من دون الله "ويطلب إليهم إعمال عقولهم فيما يفعلون. ولكن الكفر المعاند يأبى الاستسلام ويتمادى في غيه طالباً إحراق إبراهيم والانتصار للآلهة المهزومة. ولحظتها تتدخل العناية الإلهية لتنقذ إبراهيم من النار؛ لا بالإخراج منها ولكن بتحويلها برداً وسلاماً عليه؛ أي بإفقادها خاصية الإحراق التي وضعها الله فيها، وفي هذا هزيمة عملية أُخرى للكافرين الذين لا يعرفون غير القوة وسيلة لفرض معتقداتهم حين يعجزهم الحوار العقلاني عن بلوغ أهدافهم.

ب-**نوح عليه السلام وقومه**: تعد قصة نوح ـــعليه السلام ـــمع قومه من النماذج القرآنية التي تبين أمر الحوار بشكل واضح وجلي، لعله يكون نوعاً من التذكر بعد أن جمدت القلوب وتحجرت، لعلها تعود ثانية إلى ربها معتبرة من هذا العناد والاستكبار موقنة انه لا ملجأ من الله إلّا إليه، فقد مكث نوح في قومه تسعة قرون ونصف يدعوهم إلى الله دون جدوى، وهو

يقدم نموذجاً فريداً في الصّبر على أذى الناس واحتمال جحودهم، مع إيمان ثابت بالله لا يتزعزع ولا ينثني، فقد كان عليه السلام من أُولي العزم الثابتين على الحق إلى أن بلغ الأمر منتهاه، وجاء وعد الله الذي لا راد لقضائه، وقد تحدث القران الكريم عن هذه المسألة فقال: " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِه إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِه مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِه فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ وَيَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّه وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ وَيَاقَوْمِ مَنْ يَنصُرُنِي مِنَ اللَّه إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّه وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِه اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْه تُرْجَعُونَ" (٨٨).

دعوة نوح لقومه نابعة من خوفه عليهم ومحبته لهم، بإرادة الخير لهم، ولكن ردهم عليه يأتي من باب الاستنكار والاستعلاء والغطرسة، وتسفيه رأي النبي المرسل، بادعاء أن اتباعه لم يكونوا ألا من المستضعفين، وكأن هؤلاء الناس لا عقل لديهم ولا إحساس، وكأنّ نقص المال عندهم يستدعي نقص العقل والتفكير أيضاً، وهي حجة بالية لا تستقيم مع الفهم السليم.

ويلاحظ في هذا الحوار ما يتمتع به نوح ــ عليه السلام ــ من حكمة وتعقل وردود متأنية على أحاديث قومه المستفزّة، وانه يسند الفعل إلى صاحب الأمر، فلا يدعي انه ملك، ولا يستطيع أن يطيعهم فيما يريدونه بخصوص أتباعه من المستضعفين، فالله أعلم بما في نفوسهم، وما هو إلّا رسول مبلغ، سواء الصغار أم الكبار، الأثرياء أم الفقراء، الضعفاء أم الأقوياء، ليس من حقه أن يطرد أحداً؛ لأنّه إن فعل ذلك كان ظالماً لنفسه غير أمين على الرسالة التي يحملها. وعندما يصل الحوار بينهم إلى هذه النقطة لا يجد القوم أمامهم سوى تهديده وتكذيبه، بل وتحديه أن يأتي بما وعدهم به من العذاب ولكن نوحاً ــ عليه السلام ــ يصحح أقوالهم بإعادة الأمر إلى ربه ــ سبحانه ــ فهو الذي يعذب إن شاء أو يعفو، وبعد ذلك يأتيهم العذاب الذي لم ينج منه أحد، وهذا جزاء المكذبين، وعاقبة المستكبرين.

ج-لوط عليه السلام وقومه: والآن ننتقل إلى حوار نبي من أنبياء الله الذين انحصرت دعوتهم في مجتمع محدود؛ للوصول إلى غاية محدودة ؛ألا وهي معالجة قصة من أخطر قضايا المجتمع ؛ألا وهي اللواط، الذي تأصلت جذوره في ذلك المجتمع، فقد تحدث القرآن عن هذه القضية في مواقف متعددة منها: " إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنْ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنْ الْمُخْرَجِينَ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنْ الْقَالِينَ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ" (٨٩)، تجيء قصة لوط هنا، ومكانها التاريخي كان مع قصة إبراهيم، ولكن السياق التاريخي ليس ملحوظاً في هذه الآيات ؛إنّما الملحوظ وحدة الرسالة المنهج، وعاقبة التكذيب: من نجاة للمؤمنين وهلاك للمكذبين، ويبدأ لوط مع قومه بما بدأ به نوح وهود وصالح، يستنكر استهتارهم، ويستجيش في قلوبهم وجدان التقوى ويدعوهم إلى الإيمان والطّاعة، ويطمئنهم إلى انه لن يفجعهم في شيء من أموالهم مقابل الهدى، ثم يواجههم باستنكار خطيئتهم الشاذة التي عرفوا بها في التاريخ، من إتيان الذكور، وترك النساء. وهو انحراف في الفطرة شنيع ؛فقد خلق الله الذّكر والأنثى، وفطر كلاً منهما على الميل إلى صاحبه لتحقيق حكمته ومشيئته في امتداد الحياة عن طريق النّسل، الذي يتم باجتماع الذّكر والأنثى، ، ، أما إتيان الذكور فلا يتمشى مع فطرة هذا الكون وقانونه: لأنّه انحراف عن ناموس الكون، ومن ثم لم يكن بد أن يرجعوا عن هذا الانحراف أو أن يهلكوا، لخروجهم من ركب الحياة، ومن موكب الفطرة، ولتعريهم من حكمة وجودهم وهي امتداد الحياة بهم عن طريق التزاوج والتوالد(٩٠)، لقد كره لوط عملهم، واستنكر ما هم فيه من ترك ما خلق لهم ربهم من أزواجهم، فكان جوابهم تهديداً له وتوعداً بأنه أن لم يكف عما يقول فانهم سيطردونه، حينها يتوجه لوط إلى ربه بالدعاء أن ينجيه من هذا البلاء هو وأهله، فيستجيب الله لنبيّه: " فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ" (٩١)، هذه العجوز هي امرأته، وقد كانت عجوز سوء تقر القوم على فعلتهم المنكرة، فخسف الله قراهم وغطاها بالماء، وفي هذا عبرة لمن يعتبرون (٩٢).

د-هود عليه السلام و قومه: قصة هود مع قومه شبيهة بقصص الأنبياء السّابقين حتى في صيغة السّؤال التي يطرحها القوم، وفي هذا يقول القرآن الكريم: " كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ إِذْ

قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ" (٩٣).

أرسل الله هوداً إلى قومه عاد، وكانوا أولي بأس وشدّة ورخاء فقال لهم: اعبدوا الله وحده، فما لكم من إله غيره، وإني لكم رسول أمين ناصح، فأطيعوني يصلح لكم أعمالكم ويحفظ عليكم نعمكم، ولا أريد أجراً على ذلك، ولا أبغي سلطاناً ولا جاهاً، ولكنّهم كذبوه، ورموه بالسّفاهة والجنون، وذكرهم بما هم فيه من نعيم الله، حيث الأنعام والبنون والجنّات والعيون، التي يتوجّب عليهم شكرها باتّقاء الله وطاعة نبيّه، الذي يخاف عليهم عاقبة هذا العصيان، ولكنّهم مضوا في طغيانهم يعمهون، وكأنهم لم يسمعوا موعظة نبي الله هود، فسيّان عندهم وعظه وعدمه، وحجتهم في ذلك أنّ عملهم هو استمرار لعمل السّابقين، حيث لا إيمان بالبعث ولا بالحساب يوم القيامة، و قد وصفهم القران الكريم بصفات تدل على انهم يريدون علوّا في الأرض واستكبارا ؛ فهم يبنون بكل ريع بناءً ضخماً حالة كونهم به يستهزئون ويعبثون، وقد اتخذوا المصانع والمنازل كأنهم مخلّدون، وإذا بطشوا بغيرهم بطشوا جبّارين، وهذه صفات تتنافى مع الإيمان والتّصديق بالرّسل الكرام، لذا نجدهم كذّبوا هودا وتحدّوه: " قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ" (٩٤)، مع أنّ هوداً كان يدعوهم بالحسنى ويذكرهم بالنعمى، لعلهم يتوبون ويرجعون ويمتثلون لأمر نبيّهم، الذي قال لهم متوددا: يا قوم إنّي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدّنيا والآخرة، ولكنّهم قوم مغرورون، لم يستجيبوا لنبيّهم، بل قالوا له: يستوي عندنا وعظك وعدمه، فما خوفتنا به ما هو إلّا خلق الأوّلين وكذبهم، وما نحن بمعذّبين أبداً لأنّه ليس الأمر كما تقول، وكانت النّتيجة كما ذكرها القرآن "وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ" (٩٥)، إنّ في ذلك لآية وأي آية أقوى وأشد أثراً وأبعد مغزى من هذه!؟ فمنها نعرف الموقف النبيل الذي وقفه هود مع قومه حينما رموه بالسّفاهة والجنون:

" قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ " (٩٦)، ومن هذا الحوار نتعلم كيف يتلطّف الدّاعي فيذكر النعم التي منّ الله بها والتي تقتضي الشّكر والإيمان به، وفي هذه القصّة نعتبر بما جرى لمن عصوا رسولهم ؛ حتّى لا يصبنا ما أصابهم (٩٧).

كل الدعوات التي حملها الأنبياء والرسل، وجلّ الأفكار التحريرية التي نادى بها المفكرون والمصلحون، وجدت من يقاومها من أصحاب الجاه والسّلطان عند البدايات ؛ لأنّ دعوة الرّسل تُفقد أصحاب الامتيازات كثيراً من أسباب جاههم ومعاشهم المغصوب، ولهذا كانت مقاومتهم لهذه الدعوات على أشدّ وأشرس ما يكون رغم تفاهة حجتهم، وضعف موقفهم، ولكن الذين يمتلكون أسباب القوّة المادية، غالبا ما يلجأون إلى استخدامها في مقاومة أصحاب القوى الفكريّة والعقديّة، ولكن الغلبة في النهاية تكون لصالح الفكرة، لا القوة الباطشة الظالمة.

هـ- صالح -عليه السلام- وقومه: صالح نبيّ كريم، أرسله الله -سبحانه-إلى قومه (ثمود)بشيرًا ونذيراً، لكنّهم لم يسمعوا لنصحه، وجاهروا بالمعصية حتى أتاهم العذاب، وقد سجّل القرآن الكريم حوار صالح مع قومه على النحو الآتي: " إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ " (٩٨). وصف القرآن الكريم صَالح بأنّه أخوهم ويريد لهم الخير، ومن هنا كان نصحه لهم بابا من أبواب المحبّة لهم، والشّفقة عليهم من إطاعتهم أمر(المفسدين في الأرض)، بالظلم والكفر، والذين(لا يصلحون) بالإيمان والعدل، إذ أن فسادهم ليس معه شيء من الصلاح، حينها أجابوه بأنه من المسحورين الذين غلبوا على عقولهم، ولا فرق بيننا وبينك، فأنت كائن بشري مثلنا، فان كنت صادقا فقدّم لنا آية معجزة ؛ حتّى نؤمن بك، فقدم لهم النّاقة وجعل الماء قسمة بينهما ؛ لهم يوم ولها يوم، وأمرهم بعدم ايذائها، فعصوا أمر ربهم

فعقروها، وبعدها ندموا على فعلتهم؛ ندم خوف من العذاب لا ندم توبة، أو ندموا حين لا ينفع الندم؛ وذلك عند معاينة العذاب (٩٩).

عندما طلب صالح- عليه السلام- من قومه ألا يمسوا الناقة بسوء، أعلمهم بعاقبة أمرهم إن هم عصوا ربهم، لكن قوى الاستكبار تتدخل: "قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" (١٠٠)، فقوى الاستكبار هي التي تقود مظاهر المعصية، وهي التي تبدأ بها متجرئة على الله، وأمّا المستضعفون فهم اتباع الرّسل الذين آمنوا برسالة صالح، وكي تثبت قوى الاستكبار صحة رأيها، تعتدي على النّاقة وهذا يعني أن قسما منهم، واحدا منهم هو (قدار)هو الذي قام بالفعل، وان البقية قد قبلت به ولذا كان الجميع شركاء في المعصية وتحمل تبعاتها(١٠١). ويتبدى حرص النبي على قومه من خلال موقف حواريّ يستكمل به القرآن صورة المشهد: "قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ" (١٠٢)، فهو ينصحهم أن يقدموا الخير على الشر، الإيمان على الكفر، ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم، على ما يجلب لهم السوء والعقاب، هلا تستغفرون الله وتتوبون إليه لكي ترحموا، قالوا من فرط جهلهم وسوء تفكيرهم: إنّا متشائمون بك وبمن معك من الناس، وإنّا نرى القحط وقلة المطر أصابتنا من يوم أن ظهرت تدعو إلى ما تدعو إليه، قال: إنّما مصائبكم من عند ربّكم بل أنتم قوم تفتنون وتبتلون بما ينزل عليكم من نعمة وما يصيبكم من نقمة، وكان في المدينة التي يسكنها ثمود تسعة من الوجهاء يتعاونون على الإثم والعدوان، قرروا قتل صالح-عليه السلام- ليلاً حتى يخفوا جريمتهم، ثم يقولوا ما قتلناه، ولكن المكر السيء لا يحيق إلّا بأهله (١٠٣)، فلقد أنذرهم نبيهم صالح بالتمتع ثلاثة أيام في دارهم، وبعدها جائتهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين(١٠٤).

و-شعيب عليه السلام وقومه: شعيب -عليه السّلام -نبي كريم، ورد ذكره في القرآن الكريم مع موسى عليه السلام عندما ورد ماء مدين، فوجد فتاتين تذودان أغنامهما حتى

يسقي الرّعاء، فسقى لهما موسى، فكان أن دعاه شعيب وعرض عليه الزواج بإحدى ابنتيه مقابل خدمة ثمانية أو عشرة أعوام، وقومه هم أصحاب الأيكة، سكان مدين، أصحاب مدنية وحضارة ولكنهم كانوا مترفين يتلاعبون بالمكاييل والموازين، فيخسرونها، فأرسل الله لهم شعيبا يحذرهم عاقبة ظلمهم، ويطلب إليهم ألا يخسروا الميزان وألا يبخسوا الناس أشياءهم وألا ينشروا الفساد في الأرض، فكذبوه مدّعين انه بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، حينها حذّرهم شعيب -عليه السلام- من العذاب فسخروا منه طالبين أن ينزل عليهم كسفا من السماء أن كان صادقا، فأجابهم بأن هذا فعل الله؛ أن شاء عفا وان شاء فعل، فكان عقابهم أن أمطرهم الله نارا أحرقتهم عن آخرتهم (١٠٥). إن حوار شعيب مع قومه شبيه إلى حد كبير بحوار صالح؛ إذ يكرر القرآن الكريم كلاما بعينه ورد على لسان النبيين كليهما، مع فارق في المسألة واتفاق في الهدف؛ ولهذا نجد شعيبا عليه السلام يسعى بكل ما أوتي من قوة أن يرد قومه عما هم فيه من ضلال، مذكرا بما حل بالأُمم السابقة فيقول: " بَقِيَّةُ اللَّه خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمنينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بحَفيظ قَالُوا يَاشُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَليمُ الرَّشيدُ قَالَ يَاقَوْم أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَة منْ رَبِّي وَرَزَقَني منْهُ رزْقًا حَسَنًا وَمَا أُريدُ أَنْ أُخَالفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُريدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفيقي إِلَّا باللَّه عَلَيْه تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْه أُنيبُ وَيَاقَوْم لَا يَجْرمَنَّكُمْ شقَاقي أَنْ يُصيبَكُمْ مثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُود أَوْ قَوْمَ صَالح وَمَا قَوْمُ لُوط منْكُمْ ببَعيد وَاسْتَغْفرُوا ربَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْه إِنَّ رَبِّي رَحيمٌ وَدُودٌ قَالُوا يَاشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثيرًا ممَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فينَا ضَعيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بعَزيز قَالَ يَاقَوْم أَرَهْطي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ منْ اللَّه وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظهْريًّا إِنَّ رَبِّي بمَا تَعْمَلُونَ مُحيطٌ"(١٠٦).

لقد واجه شعيب سخرية قومه واستهزاءهم به وبدعوته، بهدوء بالغ وحكمة راشدة، فهو معني بتبليغ رسالة ربه بالدرجة الأولى، لا بما يقوله قومه عنه، فالدعاة يحتملون أذى الناس في سبيل الله، ولا يتراجعون عنها، ولا يغضبون لأنفسهم؛ لأنهم دعاة إصلاح بالكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، فهم مبلغون لا يخرجون عن وقار دعوة الحق إلى ما سواها من سقط الكلام، وفي هذا تعليم للدعاة والمعلمين إلى خير الطرق التّربوية السّاعية إلى الله.

إن السّعيد هو الذي يتعظ بغيره، لا بنفسه، وفي أخبار الأمم السابقة موعظة للمتأخرين، فما قيمة الإنسان الذي لا ينتفع بخبرات الآخرين ومعارفهم!؟ وما قيمة المعلومة إن لم تؤدّ

إلى تغيير إيجابي في السّلوك !؟ إن غاية حوار الأنبياء يبتغي الوصول إلى هدف نبيل واحد هو هداية البشريّة إلى الطريق الحق، واستنقاذها من مهاوي الرّذيلة والمعصية.

ز ـــ **رسولا أصحاب القرية**: قيل أن القرية هي أنطاكية، أرسل الله سبحانه رسولين إلى أهلها فكذبوهما، أو رسولا ثالثا، فما زادو إلّا كفرًا وعناداً، وعندما جاءهم رجل قادم من بعيد ينصحهم باتّباع الرّسل الذين لا يريدون أجرا ولا رياسة ولا شيئا من حطام الدّنيا، ردّوا عليه بما لا يليق ؛ مع أنه خاطبهم بأرق العبارات تودّدا واحتراما، يقول القرآن الكريم: "وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ" (١٠٧).

الجديد في المشهد الحواري هو عدد الرسل، فلم يكونوا واحدا بل ثلاثة، منهم رجل مؤمن يكتم إيمانه، ولكنّه يمتلك من أسباب الشجاعة والرّجولة ما يجعله مؤهلا لتبليغ دعوة الله، ومع هذا لم تلاق دعوة الرّسل استجابة من أقوامهم، بل جابهوهم بالمكابرة والعناد، وهما صفتان من صفات الجهلاء، لا العقلاء، فالعاقل هو الذي يعمل تفكيره في الأُمور، وليس ذلك الذي يركب هواه فيضلّه عن السّبيل. وفي قول القرآن الكريم ردّاً على الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى(ادخل الجنة)، تساؤل: فهل قيل بعد الموت ؟أم بشّر بهذا ممن لا يكذب، فبنى على تلك البشارة ما يأتي، وهذا ما يكون حكاية لحاله يوم القيامة، وعلى الرأي الثّاني فكلامه في الدنيا سبق عبرة وعظه للناس: يا ليت قومي يعلمون بغفران ربي لي وجعلي من المكرمين يوم القيامة بالثّواب الجزيل، وهذه حال المؤمن المصدّق لرسل الله، أمّا حال من أشرك وكفر وكذّب فعاقبته الخسران والضّلال والهلاك (١٠٨).

ح-موسى عليه السلام وقومه: بنو إسرائيل من أكثر الناس جدلاً وخروجاً على شريعة الله سبحانه، وهم أكثر تابعي الأنبياء بحثاً عن دقائق الأشياء، فعندما طلب الله أن يذبحوا أيّة بقرة؛ حتى يعرفوا القاتل ,طرحوا على موسى مجموعة هائلة من الأسئلة , ومع هذا فقد كان موسى -عليه السلام- يتوجه بالسؤال إلى ربّه فيجاب, وقد أورد القران الكريم هذا المشهد مفصلا في سورة البقرة ,قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١٠٩).

فقد أجاب موسى عن جميع الأسئلة التي وجهت إليه إذ كان يتوجه بالسؤال إلى الله ــسبحانهــ ويتلقى الإجابة منه، ثم يخبر بها قومه، وقد تكررت أسئلتهم مرّات ومرّات، ومع هذا لم ينفد صبر النبي ,مع العلم أن الله أمرهم أن يذبحوا بقرة، ولم يشترط صفة معينة فيها، بل أمرهم أن يذبحوا أيّة بقرة، ولكن صبر موسى على محاولات قومه إرجاء الكشف عن القاتل ؛ جاءت بنتيجة في النهاية,فقد تم إحياء القتيل ومعرفة القاتل الذي حاول قومه التستر عليه، وهكذا يعلمنا القرآن كيف نصبر على حوار المرجفين، وأن لا نيأس من الوصول إلى الحقيقة , وقد كان في هذا الحوار وأمثاله تعزية للنّبي وللمسلمين على ما كانوا يواجهونه من عنت المشركين وتصلّبهم ودفاعهم المستميت عن الباطل.

ويتكرر هذا المشهد, عندما يطلب إليهم نبيهم موسى أمراً هو في صالحهم,وفي هذا يقول القرآن الكريم ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ

رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ" (١١٠).

والملاحظ في هذا الحوار, أن بني إسرائيل كانوا يقولون لموسى "ادع لنا ربك" ولا يقولون "ربنا" وفي هذا السياق يقولون (يا موسى)ولا يقولون(يا رسول الله)أو(يا نبي الله) مع أنه أراهم المعجزات، وأنقذهم من بطش فرعون وزبانيته.

ومطالب الناس لا تتوقف, فهم يسألون أنبياءهم عما لا يسأل أحيانا, ويختبرونهم بأشياء لا تصدر إلا عن أناس لم يطمئن الإيمان في قلوبهم,فهؤلاء قوم موسى,يطالبونه أن يسأل الله تبديل طعامهم المكون من(المن والسلوى) بما هو أدنى من ذلك,وفي هذا يقول القرآن الكريم "وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ" (١١١).

لقد استجاب الله لمطالبهم، فأعطاهم ما طلبوا,مع أنهم كانوا يأكلون خير الطعام,ولكنّها النّفس الإنسانيّة الباحثة عن كل شيء , النّفس الأمّارة بالسوء,هي التي كانت تحرّك مطالب القوم وتدفعهم إلى سؤال نبيهم ,فيلح على الله بالسؤال,فيستجيب الله ,فتعود النّفس إلى السؤال مرة أُخرى غير قانعة بما أُعطيت,وبما قدر لها إلى أن تجاوزت كل الحدود، وطلب قوم موسى أن يروا الله جهرة (١١٢)، حينها أخذتهم الصّاعقة وهم ينظرون، لأن تجاوز الحدّ ينبغي أن يوضع له حدّ,وفي هذا تعليم للمؤمنين كيف يتأدّبون مع الله ,بألا يتجاوزوا حدودهم. و لا يتوقف جدل بني إسرائيل عند موسى- عليه السّلام -بل يتعداه إلى ورثته من الأنبياء الذين جاءوا من بعده,فهذا مشهد لجدلهم مع نبي لهم جاء من بعد موسى, يصوره القرآن على النحو الآتي "أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ

الْمَلَائكَةُ إِنَّ فِي ذَلكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمنينَ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُود قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَليكُمْ بنَهَر فَمَنْ شَرَبَ منْهُ فَلَيْسَ منِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ منِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بيَده فَشَرِبُوا منْهُ إِلَّا قَليلًا منْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بجَالُوتَ وَجُنُوده قَالَ الَّذينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّه كَمْ منْ فئَة قَليلَة غَلَبَتْ فئَةً كَثيرَةً بإِذْن اللَّه وَاللَّهُ مَعَ الصَّابرينَ "(١١٣).

إن الآباء مسؤولون عن تربية الأبناء,ويبدو أنّ بني إسرائيل قد ورثوا أبناءهم العناد والجدل والعصيان. إلا الفئة المؤمنة الباقية ,التي تهدي غيرها,وتتحمل عبء الرّسالة وإيصال أنوارها إلى الآخرين,فهي الفئة المنتصرة، وإن قل عددها، كما يعلمنا هذا الحوار,أن الإيمان سبب من أسباب النّصر,حتى وإن قل عدد الفئة المؤمنة. وقد كانت هذه الآية الأخيرة سببا في ثبات المؤمنين في(بدر) وعدد من المعارك الأُخرى, التي كان عدد المسلمين فيها دون أعدائهم، ولهذا فقد انتصرت الفئة المؤمنة القليلة من بني إسرائيل على عدوهم، وأصبحوا فوقه ظاهرين.

ط-مريم عليها السلام وقومها: سيدتنا مريم هي السّيدة الوحيدة التي ذكرت باسمها في القرآن الكريم، وهي المرأة الوحيدة التي جعل الله لها سورة باسمها، وهي الوحيدة التي سمّي ولدها باسمها، فهو عيسى ابن مريم، تكريماً لها وتعظيما لشأنها ولسائر النّساء المؤمنات, وهي الابنة الطّاهرة التي نذرتها أمها وهي في بطنها لله, "إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا في بَطْني مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ منِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّميعُ الْعَليمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعيذُهَا بكَ وَذُرِّيَّتَهَا منْ الشَّيْطَان الرَّجيم فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بقَبُول حَسَن وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمحْرَابَ وَجَدَ عنْدَهَا رزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ منْ عنْد اللَّه إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بغَيْر حسَاب "(١١٤)

ثم تأتي قصّة ميلاد عيسى -عليه السّلام- وقد رواها القرآن على النحو الآتي: " فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جذْعِ النَّخْلَة قَالَتْ يَالَيْتَني متُّ قَبْلَ هَذَا وكُنتُ نَسْيًا منْسيًّا فَنَادَاهَا منْ تَحْتهَا أَلَّا تَحْزَني قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَريًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بجذْعِ النَّخْلَة تُسَاقطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنيًّا فَكُلي وَاشْرَبي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ منْ الْبَشَر أَحَدًا فَقُولي إِنِّي نَذَرْتُ للرَّحْمَن صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إنسيًّا فَأَتَتْ به قَوْمَهَا تَحْملُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جئْتِ شَيْئًا فَريًّا يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْء وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْه قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ في الْمَهْد صَبيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ

اللَّه آتَاني الْكتَابَ وَجَعَلَني نَبيًّا وَجَعَلَني مُبَاركًا أَيْنَ مَا كُنتُ +وَأَوْصَاني بالصَّلَاة وَالزَّكَاة مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بوَالدَتي وَلَمْ يَجْعَلْني جَبَّارًا شَقيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا "(١١٥). فقد رد الطفل عيسى بن مريم في مهده على أُمّه ليبعث في قلبها الاطمئنان أولا، فلا تحزن ولا تتألّم ولا تأبه بمن جاءوا يتهمونها بالباطل، فكان جوابه سببا في ردّ التهمة عنها، وبهذا كانت المعجزة في ميلاده وكلامه وما جرى على يديه من عطاء ربّه، فقد كان عيسى-عليه السلام-أنيسا لأمّه وشاهدها على البراءة من الدنس الذي رماها به سفهاء قومها، وكان سببا في نجاته ونجاتها معا، كما كان بشيرا بما سيكون عليه فيما بعد، من تحمل كلمة الله ورسالته وإبلاغها للناس.

وقد ذكر القرآن عيسى -عليه السلام- في مواطن متعددة وذكر قصّة أتباعه الذين تخلّى قسم كبير منهم عنه فقال: " فَلَمَّا أَحَسَّ عيسَى منْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَاري إلَى اللَّه قَالَ الْحَوَاريُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّه آمَنَّا باللَّه وَاشْهَدْ بأَنَّا مُسْلمُونَ"(١١٦). لكنّ هؤلاء التّلاميذ لا يلبثون أن يسألوا المسيح أسئلة سبق أن سئل الله بمثلها من أنبياءه ورسله: " إذْ قَالَ الْحَوَاريُّونَ يَاعيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائدَةً منْ السَّمَاء قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إنْ كُنتُمْ مُؤْمنينَ قَالُوا نُريدُ أَنْ نَأْكُلَ منْهَا وَتَطْمَئنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا منْ الشَّاهدينَ قَالَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزلْ عَلَيْنَا مَائدَةً منْ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عيدًا لأَوَّلنَا وَآخرنَا وَآيَةً منْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازقينَ قَالَ اللَّهُ إنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ منْكُمْ فَإنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا منْ الْعَالَمينَ "(١١٧). وسؤال الحواريين مبرر، فقد سبق لنبي الله إبراهيم-عليه السّلام- أن سأل ربّه كيف يحيي الموتى، كما سأله موسى أن يراه، وهذه أسئلة تطرأ على قلب المؤمن؛ حتّى يأنس بربه ويزداد منه قربا، فغاية العبادة وجوهرها وهدفها أن يحظى صاحبها بمقابلة الله، فغاية المؤمنين يوم القيامة رؤية ربهم "وُجُوهٌ يَوْمَئذ نَاضرَةٌ إلَى رَبِّهَا نَاظرَةٌ "(١١٨)، ومن هنا يمكن لنا أن نتفهم مغزى سؤال الحواريين، ومعنى استجابة الله لمطلبهم.

حوار الأنبياء بعضهم لبعض:

الإسلام دين يحترم العقل ويحث على التأمّل، ويشجّع على الاجتهاد والتجديد ويرفض التقليد والجمود، ويقدر قيمة الإنسان، ويطلق حريه علا فكرا، ئود، ويق ر قيمة الإنس أحد.

فالكل في نظر الشّرع سواء، لا يرجح أحدهم على الآخر إلّا بالعمل الصالح الجادّ، لخير الفرد والجماعة. ودعوة الإسلام تعتمد الحجّة والدّليل والبرهان، ومخاطبة العقل بالحكمة والموعظة الحسنة؛ حيث لا إكراه ولا إرهاب، ولا قسر ولا تسلّط، يقرر الحقوق ويحدّد الواجبات في لغة تتسم بالدّقة والوضوح، والحوار القائم على المودّة والرحمة والتّسامح والعدل، يدفع الحجّة بالحجّة، ويقدّم الدّليل تلو الدّليل، دون غلوّ أو تزيّد، ودون إفراط أو تفريط، بل بقصد واعتدال وتوسّط. فالحوار والمناظرة والمجادلة تكون بالتي هي أحسن، وغلبة الخصم بالحب لا بالقوة، بالدفع بالتي هي أحسن كما يقول القران الكريم: "وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ" (١١٩). وحوار المسلم مع المسلم، و غير المسلم، باللّغة نفسها، دون تجاوز في اللّفظ أو العبارة، بل إنّ السّماحة مع غير المسلمين ألزم وأوجب، وكل خروج عن هذا، إنّما هو خروج عن منهج الله ورسوله والصّحابة والتّابعين والفقهاء والمحدثين وأهل النظر والدّعاة المهديين (١٢٠) فإذا كان هذا كله مطلوبا من المسلم، فكيف تكون لغة الحوار بين الأنبياء، ، معلمي البشرية الذي اصطفاهم الله سبحانه لقيادة العالم وهديه، لا بد وان يكون حوارهم نموذجاً وقدوة في أحاديث التّابعين لهم من المؤمنين، فان مدرسة الحوار الذي سنّته قوافل الأنبياء، والتي سجل القرآن الكريم جزءاً منها تستحق أن نتوقف عندها مليّاً لنتعلم من أدبيات حوارهم ما ينفعنا في تحقيق جلّ أهدافنا المبتغاة، لأنّ هذه الحوارات تشكل زاداً حقيقيا يتغذى منه العقل والفكر؛ لتتحول إلى سلوك مرئي يطابق بين الفكر والواقع، وأول هذه الحوارات:

١-حوار إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السّلام: من أعظم مواقف الابتلاء، موقف إبراهيم من ذبح ابنه إسماعيل، وموقف إسماعيل الابن من الصدوع لهذا الأمر، فقد وصف القران الحادثة بلغة مختصرة، كونه يركز على الهدف قال: "فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ" (١٢١)، فالأب هنا يستشير ابنه في شأن الرؤيا التي رآها، لان في نفسه حاجة، فلعل الولد لا يصدع لأمر أبيه، ولكن الابن لا يتردد في الاستجابة، وتلبية أمر الوالد، وبهذا يقدم مثالا رائعا لطاعة الولد وبره، و بخاصة إن كان الوالد رجلا مؤمنا، ما اعتاد أهل بيته منه ألا على الصدق. . فبرّ الوالدين يتمثل في أروع صوره خلال هذا المشهد الحواري المؤثر القصير، الذي تقف الحياة كلها رخيصة أمام

طاعة الأب وتنفيذ أوامره، لهذا كانت طاعة الوالدين وبرهما (في العقيدة الإسلامية) جزءا من طاعة الله .

٢-موسى وشعيب عليهما السّلام : تبدأ قصة موسى مع شعيب بلقاء ابنتي الأخير (موسى) وهما تسقيان، فيتطوع موسى لخدمتهما، كونهما فتاتين وسط مجموعة من الرجال الرعيان، ويصور القران هذا المشهد وما يتلوه على النحو الأتي : " وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنْ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ" (١٢٢) .

هذا المشهد الحواري يفيدنا في جملة من السلوكات، منها : أن عمل المرأة خارج بيتها أمر مشروع إذا استدعت الضرورة، فهاتان فتاتان ترعيان الغنم، وتسقيانهما، كون أبيهما غير قادر على ذلك بسبب كبر سنه .

سلوك الفتاه يقوم على الحياء، فالفتاتان لا تسقيان حتى يكمل الرّعيان سقي أغنامهم، وبعد ذلك تسقيان، وعندما جاءت إحدى الفتاتين إلى موسى، جاءت تمشي على استحياء، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه سلوك النساء جميعا .

ثم الوفاء بالوعد، فقد أوفى موسى بوعده لشعيب فأنهى مدة الخدمة، وفي المقابل قام شعيب بتزويجه إحدى ابنتيه كما وعد. فالحوار هنا حوار هادئ منتج بنّاء يصل الأُمور إلى غايتها وهو ما ينبغي أن يقوم عليه كل حوار .

٣- موسى والرجل الصالح عليهما السّلام : نبي الله موسى من الأنبياء الذين أنعم الله عليهم بنعمة كبيرة، فقد كلمه الله تكليما، وكان موسى يحب أن يتعلم، وقد ظن في فترة من الفترات انه اعلم أهل زمانه، فاخبره الله أن هناك من هو أعلم منه، فأحب أن يقابله، كي يتعلم منه فكان لقاؤه بنبي الله (الخضر)، كما ورد في بعض التفاسير (١٢٣) وقد أورد

القران قصة النبيين على النحو الأتي : "قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" (١٢٤).

نتعلم من هذا المشهد الحواري بين النبيين عدة أُمور تتعلق بأدب الحوار، فموسى -عليه السلام -يتلطّف في سؤاله (للخضر) حين يطلب إليه أن يعلمه، والخضر يجيب عن سؤاله إجابة حكيم، فيقول له: انك لن تستطيع أن تصبر، لأنّك لا تعرف، ومن هنا وجب على الإنسان أن يعرف أولا، ثم يحكم بعد ذلك، فالمعرفة شرط مسبق للحكم. ويعد موسى الخضر (بأنه سيكون بعون الله صابرا، وبأنه لن يعصي له أمرا)، وهذه صفة المتعلم الذي يريد أن يصل إلى الحقيقة، إذ عليه أن يكون مطواعا لمعلمه، حتى يأخذ عنه العلم بأيسر الطرق وأقصر الأزمنة. لكن موسى لا يتمكن من السكوت، لأنه رأى شيئا منكرا في نظره ونظر الطبيعة البشرية التي تشاهد الأشياء بعين اللحظة لا بعين الغيب، فيحتج على الخضر، لأنه خرق السفينة، وعندما ذكره الخضر بقوله (لقد قلت انك لن تستطيع معي صبرا)، اعتذر موسى، وهذا درس في الأخلاق حري بأن يراعى من المتعلمين جميعا، إذا وقع منهم أي خطأ. ويستمر الخضر في ارتكاب ما هو (شر في نظر موسى ونظر الناس جميعا) ويستمر موسى في احتجاجه: فما معنى أن يقتل طفلاً بغير ذنب؟ وما معنى أن يشتغل الخضر في إقامة

جدار مهدم دون أجر؟، مع العلم أن أهل القرية رفضوا أن يطعموهما عندما طلبا الضيافة. وعندما يشعر الخضر بأن موسى قد ضاق صدرا، وما عاد قادرا على الاحتمال، يبين له الأمور من أساسها، فيخبره أن السفينة كانت مملوكة لفقراء، وان هناك ملكا جبارا قرصانا يستولي على كل سفينة صالحة، وأنه قد خرق السفينة حتى لا تقع في يد القرصان فيستولي عليها، وأما قتل الصبي، فلأنه كان سيصبح كفارا غشوما، وأنّه قد يتسبب في كفران والديه الصالحين المؤمنين، فأراد الله أن يعوضهما ولدا خيرا منه، وأما الجدار فقد كان لطفلين يتيمين، وكان أبوهما رجلا صالحا، فأراد الخضر أن يقيمه حتى يكبر الطفلان، ويكون لهما كنز أبيهما. ثم يقول "لموسى" وما فعلت كل هذه الأفعال بأمري. . بل بأمر الله، أي أن الخضر لم يكن سوى (الأداة) التي نفذت أمر الله سبحانه لهذا ينبغي على العبد المؤمن، وبخاصة رجل العلم، أن يتبصر في الأمور، وان لا يصدر أحكاما مسبقة على أفعال العباد، وان يكون في ظنه خيرا، حتى لا يقع في شباك الندم والجهل، كما عليه أن يتذكر باستمرار انه ليس بعالم، وان فوق كل ذي علم عليم.

حوارات سليمان عليه السّلام :

سخر الله سبحانه كثيرا من مخلوقاته في خدمة نبيه سليمان- عليه السّلام -، منهم الجن ومنهم الطير ومنهم الحشرات، فكان لكل عمل يقوم به، وكانوا جميعا في طاعته، وأجرى الله على أيدي بعضهم من المعجزات ما جعل مللك سليمان-عليه السلام- يمتد زمانا ويتوسع مكانا، فقد منحه الله معرفة بلغات هذه المخلوقات جميعها، يخاطبها وتخاطبه، يفهم منها وتفهم منه، كونها أمما أمثالنا، ومن هذه الحوارات :

أ-حوار الطير : أورد القرآن قصّته مع الهدهد على النحو الأتي "وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنْ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنْ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الْكَاذِبِينَ اذْهَب بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ" (١٢٥).

في هذا الحوار بين الهدهد وسليمان، يتبين أن سليمان لم يكن على معرفة بكل الأُمور التي تجري من حول بلاده، وان الهدهد يعلم ما لم يكن يعلمه سليمان، وهذا يعني أن دائرة معارف الإنسان لا تشمل ألا على القليل مما أعطاه الله، وان في علم الطير أو غيرها ما لا يعرفه الإنسان، وبهذا يقلل الإنسان من غروره ويعلم انه ما أوتي من العلم ألا قليلا، فيروي ويتواضع، ويعرف أن العلم من الله، وتكتمل صورة الحوار بالانتقال إلى:

ب- **حوار سليمان للجن**: حديث الهدهد موصول بحديث متأسس عليه، ألاوهو حديث سليمان للملأ الموجودين في حضرته، وهم من الجن. فقد كلف سليمان الهدهد بحمل رسالة إلى "ملكة سبأ" فحملها وأوصلها إلى العنوان، ففضّت المرأة الرّسالة ثم التفتت إلى حاشيتها: " قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ" (١٢٦)، فقد أرسل الهدهد الرّسالة، التي كان فحواها (بسم الله الرحمن الرحيم)أي تبليغ رسالة التوحيد، وكان رد فعل الملكة طبيعيا متعقلا و إيجابيا، إذ عرضت الأمر على مستشاريها، فكان جوابهم: أنّهم أولو بأس شديد وأولو قوّة، لكنّها لم تسمع لهذا الرأي. واستخدمت عقلها المفكر، وقررت أن ترسل إلى سليمان هديّة، تختبره بها، كي تعرف سريرته، فان كان ملكاً فرح بالهديّة وان كان نبياً مرسلاً فلن يقبل بها، وهذه دلالة على رجاحة عقل هذه المرأة هي شهادة من القرآن على تفوق عقلها على عقول الرجال من مستشاريها.

أمّا بقية الحوار وتتمة القصة فترد فيما يتبع، حيث ينتقل الحديث إلى بلاط سليمان "فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ قَالَ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا

يَهْتَدُونَ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (١٢٧).

فقد كان الحوار مثمراً، أدّى إلى إسلام الملكة وقومها، كونه قائما على الحجة الدامغة المقنعة، ولا يكون الحوار منتجا إلّا إذا جرى بين عقلاء، أما السّفهاء، فإنهم يبتعدون عن المنطق، ولا فائدة من الحوار معهم، كما يعلمنا الحوار هنا كيف نشكر الله على نعمه، فالله يبتلي الإنسان بالمحنة، كما يبتليه بالنّعمة والمنحة، ليعرف هل يشكرها أم يكفرها، لان دوام النّعم لا يكون ألا بالشّكر، أما كفران النّعم فقد يؤدي بها وبصاحبها معا. كما يعلمنا الحوار كيف تكون عودة الإنسان الكافر إلى ربّه، لأنّ الكفر ظلم للنّفس، بابتعادها عن نهج خالقها، وهذا ما قالته ملكة سبأ عندما اكتشفت ضلالها وبعدها عن طريق الهداية. كما كشف الحوار عن وجود مخلوقات اكثر استطاعة من البشر في تحقيق بعض المهمات، فالعفريت الذي يستطيع أن يأتي بعرش الملكة قبل أن يقوم سليمان من مقامه، والآخر الذي أتى به قبل أن يرتد لسليمان طرفه، من المخلوقات التي أودعها الله قوة لا يستطيعها البشر، ولكنها كانت مسخرة لخدمة أحد أنبياء الله سبحانه، ألا وهو سليمان؛ لتحقيق نشر رسالة التوحيد في الأرض.

ج-**حوار سليمان للنّملة**: النبي سليمان، ممن آتاهم الله معرفة بلغات الطّير والحشرات والجنّ، وعندما كان ماراً وجنوده بالقرب من واد تسكنه جماعات النّمل، خافت هذه الحشرات سليمان وجنوده، وقد سجل القرآن الكريم حديثا قصيرا على لسان سليمان ونملة قال: " حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ "(١٢٨). فقد اجتنب سليمان وادي النمل , ولم يسمح لجنوده دوس مملكتهم، وهذا نوع من الشّكر لله ــ سبحانه ــ ونتعلم من هذا الحوار أدب الدعاء, دعاء شكر النعمة, وهي التي كانت في هذه الآيات , وما سبقها وتتمثل في نعمة العلم,زينة ابن آدم وطريقه إلى الجنة، "فما استودع الله عبداً عقلا إلا استنقذه به يوما "(١٢٩)، فقد قاد الملكة عقلها إلى

طريق الحق، فكانت به سعادتها في الدّارين، هي وشعبها.

الحوار في القصص القرآني:

في القرآن الكريم عشرات القصص, وفيها حوارات كثيرة وجدل, بحيث تتبين خلالها طبائع النفوس البشرية وطرائق تفكيرها, وسنقتصر على دراسة نموذج واحد من هذه القصص,وهو المتعلق بسورة يوسف ــعليه السلامــ.

بداية القصّة: تبدأ القصة بالرؤيا التي رآها الطفل في منامه، فيحدث بها أباه: " إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيه يَا أَبَت إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ" (١٣٠). فيوسف رأى رؤيا غريبة ,فأحب أن يحكيها لأبيه (يعقوب) عليهَ السلاَم فلما حكاها له، عرف يعقوب مغزاها كونه نبيّا مرسلا عارفاً بتأويل الرؤيا وتفسيرها, لهذا طلب من ابنه الصغير ألّا يقصّها على إخوته، فالحوار بين الولد وأبيه يحمل طابع الاحترام والمودة, فيوسف ينادي أباه (يا أبت)، فيرد عليه الأب: (يا بني)وهو خطاب تحنين ويدل على القرب من القلب, وبني تصغير ابن وحين يأتي القرآن بحديث أب عن ابنه يقول (ابني)مثل قول نوح الذي اختار ابنه الكفر عن الإيمان (إن ابني من أهلي) ويفهم من قول يعقوب ليوسف: (يا بني) إن يوسف ما زال صغيرا, فيعقوب هو الأصل ويوسف هو الفرع والأصل دائما يمتلئ بالحنان على الفرع ,ومن هنا لجأ الفرع (يوسف)إلى الأصل (يعقوب)كي يفسر له الرؤيا، فقد لجأ يوسف إلى من يحبه ويرى فيه المقدرة على مواجهة الأُمور الصّعبة, ولهذا نرى الأب يرد على ولده بطلب ينهاه فيه عن إعلام اخوته بموضوع الرؤيا، ولا بد أن يعقوب عليه السلام قد علم بتأويل الرؤيا وأنها نبوءة لأحداث سوف تقع, ولا بد أن يعقوب قد علم أيضا أن إخوة يوسف قادرون على تأويل الرؤيا, ولا بد حينئذ أن يكيدوا ليوسف كيدا يصيبه بمكروه (١٣١)، ولكن غيرة الاخوة جعلتهم يحيكون مؤامرة ضد يوسف: " لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِه آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِه قَوْمًا صَالِحِينَ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ" (١٣٢).

لقد احتال الاخوة على أبيهم ونجحوا في اخذ يوسف معهم حتى يلعب ويمرح، وهناك

تناقشوا فيما يفعلون به، فكان بعضهم يريد قتله، وكان فريق آخر لا يحبذ القتل، بل التخلص منه، وكان هذا هو الرأي الراجح لديهم فألقوه في البئر، فجاءت قافلة تريد الشرب فوجدته في البئر فحملته حيث بيع رقيقا في مصر، فقد أصاب الضيق أخوة يوسف دون أن يعرفوا خبر الرؤيا, فكيف لو عرفوها ؟سيكون ضيقهم اكثر, مع انهم ليسوا أشرارا, فهم الأسباط, ولذا نجد انهم بدأو التفكير بانتقام كبير (اقتلوا يوسف)ثم هبطوا إلى الدرجة الأدنى (أو اطرحوه أرضا)وحين أرادوا أن يطرحوه أرضا ترددوا واستبدلوا ذلك(بإلقائه في الجب)، عسى أن يلتقطه بعض السيارة, وهذا يدل على انهم تنزّلوا عن الانتقام الشديد بسبب الغيرة, بل انهم فكروا في نجاته (١٣٣)، وقد حدث ما توقّعوه.

وقد سجل القرآن هذه الحادثة في الحوار الآتي: " قَالُوا يَاأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ قَالُوا يَاأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ" (١٣٤).

لقد كان الأب(يعقوب) يعرف بنوايا الأبناء ولهذا نصح ابنه بألا يقص عليهم رؤياه ؛ حتى لا يكيدوا له، والكيد احتيال مستور لمن لا يقوى على مجابهته، فقد أرادوه معهم لشيء محبب إلى نفسه والى الأطفال جميعا، ألا وهو اللّعب واللّهو، وردّ يعقوب على أبنائه فيه لحظ، فلم يقل (أخاف أن يأكله الذئب وانتم قاعدون)، بل قال(وأنتم عنه غافلون)ليربي فيهم مواجيد الأُخوّة التي تفترض ألّا يتصرّفوا مع أخيهم بشرّ، وفي ردّهم على أبيهم محاولة لطمأنة الأب، ولهذا استنكروا أن يأكله الذئب وهم محيطون به كعصبة فإنّه إن حدث هذا يخسرون كرامتهم أمام أنفسهم وأمام قولهم، وهم لا يقبلون وهم لا يقبلون على أنفسهم هذا الهوان, وعند لحظة التّنفيذ يوحي الله سبحانه إلى يوسف بأنه سوف يخبرهم بفعلتهم هذه, والله مع يوسف في هذه اللحظة الحرجة يؤنسه ويطمئنه، وأما الاخوة الذين خدعوا أباهم ومكروا بأخيهم وخانوا عهدهم فقد أخروا عودتهم حتى ساعات الظلمة، حتى يستروا انفعالاتهم الكاذبة التي يفضحها ضوء النهار، فالليل أخفى للوجه من النهار، ولهذا جاءوا عشاء (يمثلون البكاء)ويختلقون حادثة التّسابق ليبرّروا بها فعلتهم, حيث انهم تركوا

يوسف عند متاعهم , وفي هذا إخلال بشروط التّعهد مع الأب الذي أذن بخروج يوسف بعد أن قالوا (أرسله معنا غدا يرتع ويلعب) وإنّا له (لناصحون)، وإنّا له (لحافظون)، وأما القميص الذي أحضروه شاهدا معهم فقد كان يحمل دليل كذبهم ؛ لأنه لم يكن ممزقا , حتى قيل أن يعقوب عليه السلام قال : "إن الذئب كان رحيما فأكل يوسف ولم يمزق قميصه" ، وكأنه قد عرف أن هناك مؤامرة سيكشفها الله له(١٣٥) .

يوسف عليه السلام في بيت العزيز : باع تجار القافلة يوسف , وكان حظه أن اشترته زوجة العزيز بمصر فقد كان طفلاً وسيما تحبه النفوس إذا وقع نظرها عليه ، وعندما اكتمل شبابه ونضج واصبح قادرا على فعل الرجال مع النساء رأت زوجة العزيز أن تستغله لقضاء شهوتها ، فقد أحبته وتمنته ، وقد قصّ القرآن حكايتها على النحو الآتي : " وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِه وَغَلَّقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّه إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِه وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّه كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَ اسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنْ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنْ الصَّادِقِينَ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ " .(١٣٦)

يستفاد من هذا المشهد الحواري أنّ الفراغ مفسدة,فزوجة العزيز التي لا عمل لها ,تريد أن تعبّ من الشّهوات قدر استطاعتها , كما يستفاد منه (حماية الإيمان)فالإيمان وقاية من الوقوع في الرذيلة, لأنه يعصم صاحبه ,فقد كان يوسف وفيا مؤمنا , ولهذا لم يخن سيده , لأنه يربأ بنفسه أن يكون من الظالمين ؛ ولهذا أنجاه الله بشهادة رجل من أهلها عندما قال : إن كان قميص الفتى قد من الإمام فهي صادقة وهو من الكاذبين ,وان كان قميصه قد من الخلف ، فقد كذبت وهو من الصادقين . وكان قميص يوسف قد قدّ من الخلف وهي تركض خلفه ، بينما هو يفر منها هاربا ، إلى أن وصل الباب فوجدا صاحب القصر أمامهما ، ونلاحظ في هذا الحوار أن زوجة العزيز قد راودت يوسف عن نفسه ، وهذا يعني أنها طلبت منه الأمر بلين ورفق , وبستر ما تريده ممن تريده ، فان كان الأمر سهلا ، فالمراودة تنتهي إلى شيء ما ، وإن تأبى الطّرف

الثّاني المراودة، بعد أن عرف المراد، فلن تنتهي المراودة إلى الشيء الذي تصبو إليه، وغلّقت الأبواب، بقصد إفهام يوسف ما المراد منه، وقولها(هيت لك)إفصاح عمّا تريده بوضوح، وهنا تتبدى عصمة الأنبياء حيث يرفض يوسف -عليه السّلام-، مستعينا بالله على هذه المحنة، التي لو قام بها لكان من الظالمين الخائنين، ومع وضوح براءة يوسف؛ حتى لدى عزيز مصر، فان يوسف يدفع ثمن هذا الموقف سنوات في السجن، فقد رتب الحكم على يوسف مقدّماً قبل رؤية القميص (١٣٧).

يوسف ورؤيا الملك: لم تشأ زوجة العزيز-رغم بطلان دعواها على يوسف-أن تقتله، فقد كانت تشتهيه، وتريده بأية حيلة، فآثرت أن يسجن، وهكذا كان، فقضى يوسف في السّجن إلى أن كانت حادثة مع سجينين اثنين رأيا رؤييين، فطلبا من يوسف أن يفسرهما، ففسرهما، فكان من نصيب أحدهما أن يكون في قصر الملك الذي رأى بدوره رؤيا أزعجته، فعرضها على الملأ حوله، فما عرفوا لها تفسيراً، فقال الرجل الذي كان سجينا مع يوسف: أنا أعرف من يستطيع تفسيرها، أرسلوني إلى يوسف، فأرسلوه، فدخل عليه وكان هذا الحوار: " يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ "(١٣٨).

لقد نعت الساقي الذي أوفده الملك يوسف بالصّديق، وهذا ما عرفه عنه وجرّبه في شأنه من قبل، وطلب إليه تفسير رؤيا الملك كما وردت على لسانه دون زيادة أو نقص، لانّ نقل الكلام أمانة. وقد فسر يوسف- عليه السّلام -رؤيا الملك بتأويل ونصح معاً لمواجهة العواقب، فبين لهم انهم يزرعون سبع سنين متتابعة، وهي السنوات المخصبة المرموز لها

بالبقرات السمان، والنصيحة أن يتركوا الحصيد في سنابله، لان هذا يحفظه، إلا قليلا للأكل، وأما البقية فاحتفظوا بها للسّنوات السّبع المجدبة، المرموز لها بالبقرات العجاف، وبعد ذلك يأتي عام تنتهي فيه السنوات الشّداد ويغاث الناس فيه بالزّرع والماء وتنمو كرومهم فيعصرونها خمرا، وسمسمهم وزيتونهم فيعصرونه زيتاً، ونلحظ أن هذا العام الرخاء لا يقابله رمز في رؤيا الملك، فهو من العلم اللدني الذي علمه الله ليوسف، فبشر به الساقي ليبشر الملك والناس، بالخلاص من الجدب والجوع بعام رخيّ رغيد.

ويستفاد من هذا الحوار، أنّ أصحاب الأهليّة والاختصاص يجب أن يتقدّموا لملء الشّواغر التي تستحقهم، وانّ وجود الإنسان المناسب في المكان المناسب إنما يكون لخير الأمة مجتمعة، وهذا ما طلبه يوسف عليه السلام من الملك حين قال: اجعلني على خزائن الأرض، وهكذا تحوّل يوسف من سجين مظلوم إلى حاكم عادل. وبعد أن استجاب يوسف لطلب رسول الملك، ففسر الرؤيا، وبعد أن اطمأن الملك إلى صدق وأمانة يوسف، طلب يوسف من الملك أن يستوثق من خبر النسوة اللاتي قطعن أيديهن، لإثبات براءته وإدخال الاطمئنان إلى قلب الملك، وعندما يستجوب الملك النسوة يتأكد من براءة يوسف فيزداد خطوة عنده، ويطلب إحضار يوسف كي يستخلصه صديقاً ومستشاراً، ويلاحظ أن يوسف لم يأت على ذكر امرأة العزيز، ولم يشر إليها على وجه التخصيص، ومع هذا فان امرأة العزيز تقدمت لتعلن براءة يوسف على الملأ وبذلك يسدل الستار على ماضي الآلام في حياة يوسف الصديق(١٣٩).

يوسف الوزير وأخوته: أصبح يوسف المسؤول الأول عن التموين، إذ مكنه ربه في الأرض فجعله على خزائنها وثبت قدميه، ورفع مكانته. ثم كانت سنوات مجاعة، فجاء الناس من كل حدب وصوب يبتغون الزاد، وكان بضمنهم اخوة يوسف، فعرفهم دون أن يعرفوه، وكان بينهم هذا الحوار: " وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" (١٤٠).

لَقد دارت الأيام والسنون دورتها و صار اخوته في حاجة، وهوقاضيها أو مانعها، لكنه تصرف بسلوك الأنبياء العافين عن الناس لا الحاقدين، فأعطاهم ما يكفيهم، ولكنه اشترط

عليهم أن يحضروا أخا لهم ـ من أبيهم ـ عندما يأتون في المرة القادمة. فماذا حدث بعد ذلك؟ يقول القران: " فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِي مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ" (١٤١).

ويلحظ في هذا الحوار أنّ يوسف قد اكرم وفادتهم، وتركهم يأنسون إليه واستدرجهم حتى ذكروا له من هم على وجه التفصيل، وأن لهم أخا أصغر من أبيهم لم يحضر معهم، لشدة محبة الوالد له، وبعد هذا الكلام اللطيف، وبعد تجهيزهم بما يحتاجون، طلب إليهم يوسف أن يحضروا أخاهم الصغير، دون أن يشعرهم أو يدخل في روعهم انه أخوه، وألمح إليهم بأنه يوفي الكيل، وبأنه سيوفيهم نصيبهم حين يجيء هذا الأخ معهم، وكان الأخوة يعرفون مقدار محبة أبيهم لأخيهم، وبأن الأمر في غاية الصعوبة، ومع هذا قالوا، سنراود عنه أباه وهكذا كان فقد أقسموا لأبيهم بأن يحافظوا على أخيهم، لكن الأب الذي لم ينس ابنه الأول يوسف يتردد ويطلب إليهم موثقا، حتى لا يحدث للصغير ما لحق بأخيه يوسف من قبل، وحين يقدمون الموثق يوصيهم بأن لا يدخلوا مجتمعين من باب واحد، بل من أبواب متفرقة، وقد كانت هذه الوصية لحاجة في نفس الأب يعقوب؛ لأنه كان يخشى على أبنائه، ويرى أنّ السلامة في دخولهم أبوابا متفرقة، مع إيمانه بأن إرادة الله نافذة وان قضاءه لا يرد (١٤٢).

يوسف يكيد لاخوته: عاد اخوته ومعهم شقيقه فماذا حدث ؟ يكمل القران الكريم رواية القصة على النحو الأتي: " وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَاأَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ وَاسْأَلْ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ" (١٤٣).

نلاحظ في هذا المشهد الحواري أن يوسف عليه السلام قد آوى إليه أخاه، ولكن الصورة الغائبة قبل هذا الايواء تمثلت في مشهد مقطوع من النّص، فان الأخ الصّغير كان يحدث يوسف ويبكي شوقاً إلى أخيه الغائب يوسف، دون أن يعلم أنّ يوسف يكلّمه، وعند ما اختلى يوسف بأخيه قال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك يوسف؟ فأجاب: "ومن يجد أخا مثلك، ولكنك لم يلدك يعقوب"، فبكى يوسف وقام فعانق أخاه "قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (١٤٤)، وهكذا رد يوسف على كيد أخوته، و أراد أن يضعهم في مركز الحرج مرة أُخرى مع أبيهم فكان له ما أراد، بعون الله، ولكن سلوك الأخوة في هذه المرة كان مختلفا، فقد كانوا صادقين في قولهم، وما قالوا إلا ما شاهدوا، وفي هذا تعليم للبشر بأن ما تشاهده العين من سلوك غيرهم أحيانا لا يدل على الحقيقة، فقد تكون وراء ذلك مكيدة خفية لا تدركها العيون والأبصار، وهذا ما جرى لأخوة يوسف، وهذا ما نقلوه لأبيهم وفي هذا المشهد يتبين اختلاف سلوك الأُخوة، فقد أرادوا المحافظة على أخيهم، لكنهم لم يفلحوا، لسبب خارج عن إرادتهم وربما كان هذا السبب الممهد لإحضار الأسرة بكاملها إلى مصر، وعاد الأخوة إلى أبيهم وأخبروه بما حصل، فما كان الموقف ؟؟

أخوة يوسف مع أبيهم: كان يعقوب يعلم من الله ما لا يعلم أبناؤه، فردّ عليهم قائلا: "قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ

وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الكَافِرُونَ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ" (١٤٥).

في هذا المشهد صورتان حواريتان جميلتان، تنمّان عن خلق ايمانيّ رفيع، فيوسف يعفو عن اخوته في لحظة قوّته ويتجاوز عن سيئاتهم معه، وأبوه يستغفر لاخوته الخطأ الذي فعلوه بأخيهم وأنفسهم وأبيهم، أمّا الاخوة فيعترفون بذنبهم، وفي المقابل يكون الصفح، وعدم جواز الشكوى لغير الله، والعفو عند المقدرة

ويستفاد من هذا الحوار: صدق حدس الأنبياء، فيعقوب لم يفقد الأمل بعودة ولديه، ويطلب إلى بنيه أن يعودوا إلى مصر ليبحثوا عن يوسف وأخيه، ويضرع إلى الله شاكيا، لا إلى أحد غيره، أما يوسف فأنه يعفو عن صنيع أخوته ويدعو الله أن يغفر لهم ما فعلوه، وهذا ما ينبغي أن يفعله ذوو القربى وذوو الأرحام والمؤمنون عندما يقدرون.

جمع الشمل وتحقق الرؤيا: طلب يوسف إلى اخوته أن يأتوا بأهلهم جميعا، وفي المقدمة منهم أبوه، وقد رسم القران المشهد الختامي لهذه القصة الدرامية على النحو آلاتي: " فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنْ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" (١٤٦)، وبهذه الخاتمة السعيدة تلتقي الأسرة، بعد أن يزول الحقد، وتحل الألفة، وفي عبارة يوسف " نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي " تخريج رائع لما حدث، حيث انه ألقى باللائمة على الشّيطان، ولم يلقها على اخوته، وهذا من أدب الحوار الرفيع الذي يعلمه القران، وفي هذا المشهد نتعلم البرّ بالوالدين، حيث رفع يوسف أبويه على العرش مكرما وفادتهما معليا شأنهما، كما ينبغي للولد البار أن يفعل من أجل أبويه، وحينها يقول يوسف لأبيه: هذا هو تفسير رؤياي القديمة قد جعلها الله حقّاً، وبهذه

العبارة تختتم قصة يوسف عليه السّلام.

وبعد فان القران كتاب هداية، ومن أهم خصائصه انه بينات من الهدى والفرقان، وهو مصدر للعظة والعبرة، وفي قصصه عبرة وحكمة وبيان، بحيث يوضح مكانة الضالين ومنزلة المهتدين، وعاقبة الضلال وبيان ما يقاوم به النبيون، ومعهم دعاة الحق. فالقصص فيه للعبرة بين الواقعات لا لمجرد المتعة من الاستماع والقراءة. (١٤٧)

الخلاصة:

إذا كان الحوار أُسلوبا مناسبيّاً عند أهل الأرض، فأنه منهج سلوك في لغة السماء، وإذا كان الحوار مؤقّتاًمزمّناً تقتضيه الضرورة عند أهل الأرض، فإنّه شرعة ومنهاج في لغة السماء، علمه الله في السماء، قبل أن يكون هناك بشر في صلب آدم، ثم علمه آدم ومن نسل من ذريته، أكانوا أنبياء صالحين مصطفين، أم كانوا بشرا عاديين، ومن هنا كان الحوار أُسلوب الرسل السماويين إلى أهليهم، يستوي في ذلك المتأخر ون والمتقدمون، إذ لم يحد واحد منهم عن هذا المنهج. فالله سبحانه حاور إبليس، وفند حجته، بعد أن استمع إليها، وفي هذا درس لنا نحن الآدميين حين نحاور أعداءنا، إذ ينبغي أن نسمع حجتهم قبل أن نحكم عليهم، كما هي الحال في شرائع كثير من الأنظمة المعاصرة وقوانينيهم، فالأصل في هذه المسائل ألا يكون الاستنتاج قبل الحوار، وقبل استيفاء عناصر الحوار من أطرافها جميعا. وقد أظهرت هذه الدراسة العمودية في القران الكريم، أن مسألة الحوار فيه، مسألة جوهرية، تحتل جزءا أساسيا من مبناه. ومما لا شك فيه، أن هناك حوارات أُخرى لا تأخذ طابع السؤال والجواب، ولكنها تنحو منحى الاخبار عن ذلك، وتجيء بأُسلوب سردي قصصي يفصح عما كان حواراً، ولكنه يسوقه مساق الخبر، وهذا يمكن إدماجه في لغة الحوار أيضا.

ولا نشك أن استقصاء مسألة الحوار في القران الكريم تحتاج إلى جهد أكثر، والى مساحة اكبر من هذه المساحة المحكومة لهذا البحث، ولكنها محاولة للفت انتباه الدّارسين، إلى أن الحوار موضوع أساسي في القرآن الكريم، وانه ليتقدم عليغيره من أساليب التعبير كمّاً وكيفاً، وإلّا لما كان استخدامه بهذه الكثافة والنّوعية، التي شملت غالبية السور الطويلة في القران، وكثيرا من سوره القصار. إن الحوار مطلب أساس من مطالب الشرع، وهو مع الخصوم أكثر إلحاحا مما هو مع الأماثل والاتباع، وهو يحتاج إلى صبر وحسن استماع لما يقوله الآخر، كما يحتاج إلى حلم وعلم، فلا فائدة من حوار لا يستند إلى معرفة، ولا فائدة من معرفة غير مؤثرة في السلوك، لأنها تكون حينئذ عقيمة، والحوار يحتاج إلى حسن تقديم الذات والموضوع، لان حسن السؤال نصف العلم، ولهذا وجدنا القران يطلب إلى موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ أن يحاورا فرعون الذي طغى بالقول اللين " فقولا له قولا لينا لعله يتذكر " وبهذا الأدب في التعامل مع الخصم، يصل القران إلى الغاية لمثلى من الحوار. ألا وهي التبليغ بالرسالة بما يليق من كلام طيب، وليس على المبلغ بعد ذلك من شيء، لأن الله ـ سبحانه ـ قد آتى كل نفس هداها، ولو شاء لجعل الناس أُمة واحدة، ولا يزالون مختلفين. فلنفهم أن الحوار اختيار لا الزام، وانه بلاغ لا إجبار.

الهوامش

١ . ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب، مجلد٤، ط : ١، دار صادر، بيروت١٩٩٠حرف الحاء ص : ٢١٧-٢٢٢ .
٢ . الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق د . محمد أحمد خلف الله ، ط : ١، مكتبة الأنجلو المصرية . د . ت، ص١٩١ , ١٩٢ .
٣ . الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج : ٢١القاهرة١٩٦٣، ص : ١٢٦ .
٤ . المقري المالكي، منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٨٥، ص : ٤ .
٥ . المنطق عند الفارابي، تحقيق، د . رفيق العظم، كتاب الجدل، ج : ٣، دار المشرق، بيروت١٩٨٦، ص١٣ .
٦ . ابن منظور، لسان ا لعرب ج : ١١، باب اللام، ص : ١٠٣-١٠٥ .
٧ . سورة النحل، آية١٢٥ .
٨ . سورة المجادلة، آية١ .
٩ . القرآن الكريم وبهامشه تفسير الجلالين، مطبوعات دار مروان بيروت١٩٧٤ص : ٧١٩ .
١٠ . الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلميّة بيروت١٩٨٣، ص : ١٣١ .
١١ . عبد المتعال الصعيدي، مع الإسلام(حرية الفكر في الإسلام)مؤسسة المطبوعات الحديثة، القاهرة١٩٦٠ص٣٠, ٣١ .
١٢ . سورة الأنعام، الآيات٧٥-٧٩ .
١٣ . انظر سورة المدثر الآية ١٨ ، وسورة سبأ الآية ٤٦ ، وسورة البقرة الآية ٢١٩و٢٦٦ ، وسورة الأنعام الآية ٥٠ ، وسورة الروم الآية ٨، وسورة يونس الآية ٢٤ ، والرعد الآية ٣ .
١٤ . سورة البقرة الآية٢٥٩ .
١٥ . سورة الكهف، الآيات١٨-٢٢ ، والآيات من ٣١-٤٣ ، والآيات من ٤٤-٤٥ .
١٦ . سورة التحريم، الآية٦ .
١٧ . الإمام محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، ط : ٢، دار القلم القاهرة، د . ت، ص : ٤٢ , ٤٣ .
١٨ . سورة البقرة، الآيات ٣٠-٣٢ .
١٩ . محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج : ١، ط٤، إصدار دار المنار بمصر ١٩٥٣(١٣٧٣)هجرية، ص : ٢٥٤ .
٢٠ . المصدر السابق، ص : ٢٥٥ .

٢١ . سورة ص، الآيات ٧٥-٨٥، وانظر سورة الحجر الآيات ٢٨-٤٢وسورة الأعراف الآيات ١١-١٨ .
٢٢ . سورة يس الآية ٧١ .
٢٣ . السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، المجلد١٧ ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، ص: ٢٢٥-٢٢٧ .
٢٤ . سورة الأعراف، الآيات ١٩-٢٥ .
٢٥ . سورة طه، الآيات ١٢٣-١٢٦ .
٢٦ . سورة الإسراء، الآيات ٦١-٦٥ .
٢٧ . سورة الأعراف، الآيات٤٤-٥٠ .
٢٨ . سورة المدّثر، الآيات٣٩-٤٨ .
٢٩ . سورة غافر، الآيات٤٧-٥٠ .
٣٠ . سورة النساء، الآية ١٢٥ .
٣١ . سورة النحل، الآية ١٢٠ .
٣٢ . سورة البقرة، الآية٢٦٠ .
٣٣ . نخبة من العلماء، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٩هجرية، ص: ١٩ , ٢٠ .
٣٤ . سورة البقرة، الآيات ١٢٤ , ١٢٦ , ١٣١ .
٣٥ . سورة النمل، الآيات ٨٠-١٢٠ .
٣٦ . سورة طه، الآيات٢٤-٣٨ .
٣٧ . السورة نفسها، الآيات ٤٢-٤٧ .
٣٨ . سورة الأعراف، الآيات١٤٣ , ١٤٤ .
٣٩ . سورة المائدة، الآيات١١٦-١١٩ .
٤٠ . سيد قطب، في ظلال القرآن . المجلد٤ ، ج: (٥-٧)، ط: ٩ ، دار الشروق بيروت، ١٩٨٠ ، تفسير سورة المائدة، ص: ٩٩٥-٩٩٧ .
٤١ . سورة هود، الآيات٤٥-٤٧ .
٤٢ . سورة الممتحنة ، الآية ٤ .
٤٣ . سورة التوبة، الآية ٧١ .
٤٤ . تفسير المنار، ج: ١٢ ، ص: ٨٢-٨٧ .
٤٥ . سورة مريم، الآيات٤-١٠ .

٤٦ . انظر سورة آل عمران الآية ٣٩ .
٤٧ . السورة نفسها، الآية٤١ .
٤٨ . د. محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، المجلد٢، ج: (١١-٢٠)، ط: ١٠ دار الجيل بيروت ١٩٩٣، ص: ٤٤٤-٤٤٦ .
٤٩ . سورة البقرة، الآية ١٨٦ .
٥٠ . السورة نفسها، الآية ١٨٩ .
٥١ . أبو السعود، تفسير العلامة أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المجلد: ١، دار الفكر
بيروت، د. ت، ص: ٢٣٨, ٢٣٩ .
٥٢ . سورة البقرة، الآية ٢١٥ .
٥٣ . إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المجلد: ١، ص: ٢٥٣ .
٥٤ . سورة البقرة، الآية ٢١٩ .
٥٥ . سورة المائدة، الآية٩٠ .
٥٦ . إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المجلد: ١، ص: ٢٥٥, ٢٥٦ .
٥٧ . سورة البقرة، الآية٢٢٠ .
٥٨ . ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم، ص: ٢٥٧-٢٥٨ .
٥٩ . سورة البقرة، الآية٢٢٢ .
٦٠ . إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المجلد: ١، ص٢٦٠ .
٦١ . سورة الأعراف، الآية١٨٧ .
٦٢ . انظر سورة المائدة، الآية٤ .
٦٣ . سورة البقرة، الآية١٥٤ .
٦٤ . سورة المائدة، الآية ١٠١ .
٦٥ . سورة ص، الآية ١٧ .
٦٦ . سورة الإسراء ، الآية١ .
٦٧ . سورة ص، الآيات٢١-٢٤ .
٦٨ . القرطبي، الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، المجلد: ٨، ج: (١٥-١٦)دار الكتب العلميّة ، بيروت
١٩٩٣، ص١٠٨-١٢٠ .
٦٩ . سورة آل عمران، الآيات ٤٥-٤٨ .

٧٠. د. محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، المجلد١، ص: ٢٢٩-٢٣٠.
٧١. المصدر نفسه، ص: ٢٣٠, ٢٣١.
٧٢. سورة آل عمران، الآيات ٤٥-٤٨.
٧٣. محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، المجلد٢، ج: (١٥-١٦)ط: ١، دار العلم للملايين، بيروت١٩٦٨، ص٦١-٦٥.
٧٤. انظر سورة مريم، الآيات ١٧-٢١.
٧٥. سورة هود، الآية ٦٩.
٧٦. سورة الحجر، الآيات٥١-٦٠
٧٧. سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد٤، ج(١٢-١٨)، ص: ٢١٤٦-٢١٤٨.
٧٨. سورة الحجر، الآيات ٦١-٧١
٧٩. سورة المائدة، الآيات٢٧-٣٠.
٨٠. سورة البقرة، الآية ٢٥٨.
٨١. محمد علي الصّابوني، مختصر تفسير ابن كثير، المجلد١، ط: ٣، دار القرآن الكريم بيروت١٣٩٩، هجرية، ص: ٢٣٣, ٢٣٤.
٨٢. سورة النازعات، الآيات ٢١-٢٤.
٨٣. سورة الشعراء، الآيات١٨-٥٢.
٨٤. انظر سورة غافر، الآيات ٢٦-٤٥.
٨٥. سورة مريم، الآيات٤٢-٤٨.
٨٦. سورة الشعراء، الآيات ٧٠-٧٢.
٨٧. سورة الأنبياء، الآيات ٥٨-٦٩.
٨٨. سورة هود، الآيات ٢٥-٣٤.
٨٩. سورة الشعراء، الآيات١٦١-١٦٩.
٩٠. سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد٥: ج(١٩-٢٥)، ص٢٦١٣, ٢٦١٤.
٩١. سورة الشعراء، الآيات ١٧٠-١٧٣.
٩٢. سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد٥، (ج١٩-٢٥)، ص٢٦١٤.
٩٣. سورة الشعراء، الآيات١٢٣-١٣٩.
٩٤. سورة هود، الآيات ٥٣, ٥٤.
٩٥. سورة الحاقّة، الآيات٦-٨.
٩٦. سورة الأعراف، الآيات ٦٧, ٦٨.

٩٧ . انظر . د . محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح ، ج١١ ، ص : ٦٠-٦٢ .
٩٨ . سورة الشعراء ، الآيات ١٤٢-١٥٨ .
٩٩ . الإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، تفسير النسفي ، ج٣ ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، د . ت ، ص : ١٩١-١٩٣ .
١٠٠ . سورة الأعراف ، الآيات٧٥-٧٧ .
١٠١ . تفسير النسفي ، ج٣ ، ص : ١٩٢-١٩٣ .
١٠٢ . سورة النمل ، الآيات٤٦-٤٧ .
١٠٣ . د . محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح ، ج١٩ ، ص : ٩٣-٩٤ .
١٠٤ . سورة هود ، الآيات ٦٠-٦٧ .
١٠٥ . محمد جواد مغنية ، التفسير الكاشف ، المجلد ٥ ، ج١٢ ، ص : ٥١٤-٥١٦ .
١٠٦ . سورة هود ، الآيات٨٦-٩٢ .
١٠٧ . سورة يس ، الآيات١٣-٢٧ .
١٠٨ . د . محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح ، ج٢١ ، ص : ٨٩ , ٩٠ .
١٠٩ . سورة البقرة ، الآيات٦٧-٧٣ .
١١٠ . سورة المائدة ، الآيات٢٠-٢٦ .
١١١ . سورة البقرة ، الآية ٦١ .
١١٢ . انظر سورة النساء ، الآية ١٥٣ .
١١٣ . سورة البقرة ، الآيات٢٤٦-٢٤٩ .
١١٤ . سورة آل عمران ، الآيات٣٥-٣٧ .
١١٥ . سورة مريم ، الآيات٢٣-٣٣ .
١١٦ . سورة آل عمران ، الآية٥٢ .
١١٧ . سورة المائدة ، الآيات١١٢-١١٥ .
١١٨ . سورة القيامة ، الآيات٢٢ , ٢٣ .
١١٩ . سورة فصّلت ، الآية ٣٤ .
١٢٠ . د . سعيد مراد ، الإسلام ولغة الحوار ، مكتبة الأنجلو المصريّة ، القاهرة١٩٩٣ص : ١٣ .
١٢١ . سورة الصّافات ، الآيات١٠٢-١٠٧ .
١٢٢ . سورة القصص ، الآيات٢٣-٢٨ .
١٢٣ . انظر التفسير الميسر ، إعداد نخبة من العلماء ، المملكة العربية السّعوديّة ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ١٤١٩ هجرية ، تفسير سورة الكهف الآية ٦٥ ، وانظر د . محمد محمود

حجازي، ، التفسير الواضح، وانظر سيد قطب في ظلال القرآن، الحاشية .

١٢٤ . سورة الكهف، الآيات٦٦-٨٢ .

١٢٥ . سورة النحل الآيات ٢٠-٢٨ .

١٢٦ . السورة نفسها الآيات ٢٩-٣٥ .

١٢٧ . السورة نفسها ، الآيات ٣٦-٤٤ .

١٢٨ . السورة نفسها ، الآيات ١٩ , ١٨ .

١٢٩ . أبو حيّان التوحيدي، البصائر والذخائر، ط : ١ ، دار صادر بيروت . د . ت . ص٢٨٢ .

١٣٠ . سورة يوسف، الآيات٥ , ٤ .

١٣١ . محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، المجلد ١١ ، دار أخبار اليوم، القاهرة، د . ت ص : ٦٨٤٢-٦٨٥٠ .

١٣٢ . سورة يوسف، الآيات ٧-١٠ .

١٣٣ . تفسير الشعراوي، ص٦٨٥١-٦٨٥٢ .

١٣٤ . سورة يوسف، الآيات١١-١٨ .

١٣٥ . تفسير الشعراوي، ص : ٦٨٧٤-٦٨٨٨ .

١٣٦ . سورة يوسف، الآيات٢٣-٢٧ .

١٣٧ . تفسير الشعراوي، ص : ٦٩٠٤-٦٩٢٤ .

١٣٨ . سورة يوسف، الآيات٤٦-٥٥ .

١٣٩ . في ظلال القرآن، المجلد٤ ، ص : ١٩٩٣ , ١٩٩٤ .

١٤٠ . سورة يوسف، الآيات٥٩-٦٢ .

١٤١ . السورةنفسها، الآيات٦٣-٦٧ .

١٤٢ . في ظلال القرآن، ص : ٢٠١٤-٢٠١٨ .

١٤٣ . سورة يوسف، الآيات٦٩-٨٢ .

١٤٤ . نائلة هاشم صبري، المبصر لنور القرآن، المجلد٥ ، ط١ , ٢٠٠١ ، مطبعة الرسالة المقدسية، ص : ١٤ , ١٥ ، عن تفسير الرازي ص١٤٩ .

١٤٥ . سورة يوسف، الآيات٨٣-٩٨ .

١٤٦ . السورةنفسها، الآيات٩٩ , ١٠٠ .

١٤٧ . الشيخ محمد أبو زهرة، القرآن المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي الحديث١٩٨٠ ، ص : ١٧٦ .

المصادر والمراجع:

١ . القرآن الكريم .
٢ . أبو حيان التوحيدي البصائر والذخائر ط : دار صادر، بيروت .
٣ . الراغب الأصفهاني المفردات في غريب القرآن، تحقيق د . محمد أحمد خلف الله، ط : ١ مكتبة الأنجلو المصرية، د . ت .
٤ . د . رفيق العظم، المنطق عند الفارابي ، كتاب الجدل ، ج ٣، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦ .
٥ . أبو السعود، ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، دار الفكر، بيروت . د . ت .
٦ . د . سعيد مراد، الاسلام ولغة الحوار، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة . د . ت .
٧ . سيد قطب، في ظلال القرآن ط : ٩، دار الشروق، بيروت ١٩٨٠ .
٨ . الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات ، دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٨٣ .
٩ . عبد المتعال الصعيدي، حريةالفكر في الإسلام مؤسسة المطبوعات الحديثة، القاهرة ١٩٦٠ .
١٠ . الإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تفسير النسفي دار إحياء الكتب العربية، مصر، د . ت .
١١ . الإمام أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٣ .
١٢ . الفخر الرازي، التفسير الكبير ، القاهرة ١٩٦٣ .
١٣ . السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم . د . ت
١٤ . محمد جواد مغنية . التفسير الكاشف ط : ١ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٣ .
١٥ . محمد رشيد رضا، تفسير المنار ، ط : ٤ . دار المنار بمصر ١٩٥٣ .
١٦ . الشيخ محمد أبوزهرة، القرآن المعجزة الكبرى ، دار الفكر العربي الحديث ١٩٨٠ .
١٧ . محمد علي الصابوني . مختصر تفسير ابن كثير ، ط : ٣، دار القرآن الكريم، بيروت ١٣٩٩هـ .
١٨ . محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي ، دار أخبار اليوم ، القاهرة . د . ت .
١٩ . د . محمد محمود حجازي، التفسير الواضح ، ط : ١٠، دار الجيل، بيروت ١٩٩٣ .
٢٠ . الإمام محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة ، ط : ٢، دار القلم، القاهرة د . ت .
٢١ . المقري المالكي، منتهى الوصول والأمل في علمي الأُصول والجدل ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥ .
٢٢ . إبن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ط : ١ دار صادر، بيروت ١٩٩٠ .
٢٣ . نائلة هاشم صبري، المبصر لنور القرآن . ط : ١ مطبعة الرسالة، القدس د . ت .
٢٤ . نخبة من العلماء، التفسير الميسر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة١٤١٩ هـ .